

ملخص كتاب  
التتفيه والتجهيل  
وسائل واستراتيجيات

للمحامي مصطفى الزراق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



00905314372599



ghirascenter.org



info@ghirascenter.org



غراس  
للإنتاج الفكري

الموقع الإلكتروني [girascenter.org](http://girascenter.org)

البريد الإلكتروني: [info@ghirascenter.org](mailto:info@ghirascenter.org)

رقم الهاتف: ٠٠٩٠٥٥٢٧٥٣٥٥٧٩



00905314372599



[ghirascenter.org](http://ghirascenter.org)



[info@ghirascenter.org](mailto:info@ghirascenter.org)

ملخص كتاب

# التففيه والتجهيل

وسائل واستراتيجيات



## غراس للإنتاج الفكري

هي مؤسسة غير ربحية، تُعنى  
بتحرير القضايا الفكرية والثقافية  
والاجتماعية المعاصرة. تأسست في  
كانون الأول/ديسمبر ٢٠٢٣  
الموافق جمادى الأولى ١٤٤٥  
للهجرة.

يسعى المركز للمساهمة في معالجة  
القضايا المجتمعية ونشر ثقافة محصنة  
ضد الاختراقات الفكرية والأخلاقية في  
عالم تزاحمت فيه الأفكار، وتصادمت  
فيه التساؤلات، وغدت الحيرة عنواناً  
لكثير من الناس.



الكتاب ينقسم إلى فصلين:

- الفصل الأول: خُصص للكلام عن التفاهة.
- الفصل الثاني: خصص للكلام عن صناعة الجهل. ويتضمن أربعة أبواب:
  - الباب الأول: تعريف الجهل.
  - الباب الثاني: الجهل ما بين الأسباب والحلول.
  - الباب الثالث: الجهل الصناعي.
  - الباب الرابع: هندسة العقل.

\*\*\*





# الفصل الأول التفاهة



00905314372599



ghirascenter.org



info@ghirascenter.org

## • مقدمة لا بدّ منها

لا بد من الاعتراف بـ:

- أن من يحكم اليوم هو نظام التفاهة: التفاهة التي تنحدر من أنظمة الاستبداد، وتدين بالوجود والامتداد لثقافة الاستهلاك، وتقود المجتمعات نحو هاوية السطحية واللا معنى.
- أن هذا الزمن هو زمن الميديا والإعلام بلا منازع، حيث لا سلطة تعلو فوق سلطتهما.
- حتى تصبح نجماً يكفيك أن تكون تافهاً.
- أن التفاهة هي الثقافة السائدة: التي غزت حياتنا بكل تفاصيلها.
- وصول التفاهة لجميع طبقات المجتمع، حتى النخبة [أصحاب الرأي والمنابر].
- أن الإنسان على عظمته صار بلا أي ذرة من الفكر والعقل، ضائع الهوية، فاقد للغاية النبيلة التي وجد لها.
- التنافس على الشهرة بأي وسيلة كانت، ولو على حساب الدين، أو الشرف، أو العرض، أو المقدسات.
- أن التفاهة صارت بحد ذاتها قيمة وثقافة، وصارت قادرة على التكاثر بشكل شبه ذاتي، وسيطرت على الحياة اليومية، وأخذت من جهد البشر وعقولهم الشيء الكثير.
- أن التفاهة تفتح المجال لأي تافه أو جاهل أن يقوم بمشاريع عظيمة تجعل منه قدوة للآخرين، الأمر الذي يؤدي إلى سقوط القدوة الصالحة.



- سقوط القيمة العلمية: فالتفاهة جعلت المدى الحياتي للإنسان محصوراً أفقياً، ليس فيه أي بعد متسام أو تصاعدي، ونقلت الإنسان من حيث يجب أن يكون [محب للثقافة] إلى فرد مستهلك ومستهلك، وصار الحديث عن الثقافة ضرب من العبث العقلي.
- غياب التفكير عند الإنسان: فالإنسان صار غريباً في صحراء قاحلة، ولا أحد يريد أن يزج نفسه بالتفكير، فالتفكير صار يمثل مصدر إزعاج عند الكثير.

\*\*\*



## ما هي التفاهة؟

التفاهة: هي النقص في الأصالة، أو الإبداع أو القيمة أو الأهمية، تقول: طعام تافه: أي بلا طعم ولا ذوق. وعليه: فقولنا رجل تافه: عديم الطعم بفكره وحياته.

وبناء عليه يمكن القول:

إن أي عمل يقوم به الإنسان، وأي فكرة أو أيديولوجية بشكل عام لا تصب في النهاية في باب رفع مستوى الفكر، لجعل الحياة أكثر عدلاً وراحة وأمناً وقداسة، وقيمة وجمالاً فإنه يعد ضرباً من ضروب التفاهة.

ولقائل أن يقول: هل تريدون أن تسير الحياة كما تريدون؟

ويقال في الجواب:

لا نماري أن التفاهة حق لكل إنسان، لا يختلف عن حق الإنسان بالرواج والإنجاب والتنفس. لكن:

أن يتحول هذا الحق المحدود من جزء من الحياة ليكون الحياة كلها، فهذا أمر لا يمكن السكوت عنه، لأنه يأكل حق الآخرين في حياة لها قيمة، قبلوا ذلك أو رفضوه.

وعليه نقول:

التفاهة التي سنتكلم عنها ليس لها علاقة بهذا الجزء الضيق الذي تمثله التفاهة أو اللا قيمة في حياة كل إنسان، والتي تعتبر حقاً لا بد من ممارسته ضمن ضوابط عدم التتفيه، لاستمرار حركة الحياة.



وإنما التي نقصدها:

هي التفاهة الصارخة الفجعة التي تريد أن تلتهم كل شيء في حياتنا بلا استثناء، وتمد أسننتها لتلدغ كل مقدس وقيم في حياتنا وفق خبث ممنهج، الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف - بالإضافة إلى هدم المجتمع- إلى هدم أي بؤادر لبروز نبتة الإبداع والتجديد.

### كفاءة الشخص التافه:

جوهر كفاءة الشخص التافه:

- هو القدرة على التعرف على شخص تافه آخر، مما يدعم التافهون بعضهم بعضاً، فيرفع كلُّ منهم الآخر لتقع السلطة بيد جماعة تكبر باستمرار.
- أحط نفسك ببعض البهرجات، وبعض الكلمات الأجنبية والعناوين والمصطلحات.
- قدّم أفكاراً أو إحياءات جنسية، أو فضائح، وخالف المألوف، وتعدّ على كل مقدس، من جسد أو فكر أو دين أو عقائد..... تصبح نجماً.

\*\*\*



## محاربة التفاهة

لا بد أن نعلم:

- أنه رغم مئات الملايين من البرامج وغيرها في مواجهة التفاهة، إلا أنها ليست بشيء في مواجهة التفاهة عندما يكون العقل لا يحتوي إلا التفاهة.
- أننا إن لم نتحرك بشكل عاجل وجاد، ونعلن قانون الطوارئ لمواجهة التفاهة، فستأكلنا جميعاً.
- أن العالم لن يفنى بقنبلة نووية، بل بالابتذال والإفراط في التفاهة، كما يقول الروائي الإسباني (كارلوس زافون).
- أن من بات يحكم ويسيطر وييدي الآراء والنظريات فيما يعرف وفيما لا يعرف هو التافهون، وهو مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم في حديث الروبيضة.
- أن من سيقف في وجه التفاهة سيجد دفاعاً مستميتاً من عدة أطراف:
- أولها: صانعها الذي سيحارب لآخر دولار في حسابه.
- ثانيها: الجمهور المتلقي لها، لأن التفاهة نخرت عظامه، ولم يعد قادراً على إدراك قيمة القيم.
- ويمكن القول: بسبب فساد الذوق العام [قصة المنحوتة للنحات الأمريكي ريتشارد سيرا].

\*\*\*





## التفاهة ما بين الأسباب والحلول

-أولاً:

لا بد من دراسة التفاهة وتشخيصها، ومن ثم البدء بتطبيق العلاج المناسب:

التشخيص:

كما أن هناك جهلاً بسيطاً، وجهلاً مركباً، وهناك جهلاً ذاتياً وجهلاً صناعياً، هناك أيضاً تافه بسيط، وتافه مركب، وتفاهة ذاتية، وتفاهة صناعية، وبالطبع العلاج الذي سنعالج به التفاهة الذاتية سيختلف عن العلاج الذي سنعالج به التفاهة الصناعية، وكذا الحال بالنسبة للعلاج الذي سيطبق على التافه البسيط، فإنه سيختلف عن الذي سيطبق على التافه المركب.

- التافه البسيط هو شخص تافه، ويعلم أنه تافه، لكنه اختار التفاهة لسبب أو لآخر، فإذا استطعنا أن نعالج الأسباب التي دفعته ليكون شخصاً تافهاً ربما لن يكون هناك داع لأن نعالج تفاهته بحد ذاتها.

كمعالجته ببحثنا عن قيمة تناسبه وتناسب مقدراته، ومهاراته ونوع الذكاء الذي لديه.

- أما التافه المركب الذي لا يدرك أنه تافه، فهذا يحتاج لدواء من نوع آخر يقوم أولاً على تفكيك منظومة الفكر التي لديه، ومن ثم إعادة بنائها من جديد بما يتناسب مع الفكر الذي نطمح إليه.

## طبعاً:

هذا الأمر لا يكفي للتصدي له جهة واحدة، فلا بد من تكاتف جميع المكونات في المجتمع وفق رؤية موحدة في عمومياتها على الأقل، تصب في النهاية بإنتاج وإعادة إنتاج الفرد وفق المبتغى.

مع الأخذ بالاعتبار أن أهم دور وأكبر دور هنا يكون من نصيب الإعلام بكافة محتوياته.

وذلك أن الإعلام: شئنا أم أبينا صار المصدر الغذائي الأول للأفكار والأيدولوجيات والمعلومات لدى غالبية الشعوب، حتى صار الأفراد يحتاجون بعضهم بعضاً بناء على أفكار ومعلومات تلقوها من الإعلام.

## -ثانياً:

لا بد من التسليم -حسب رؤيتنا- أن التفاهة رغم وصولها لجميع طبقات المجتمع، إلا أنه دائماً يبقى هناك ناجون، وهناك تيار لا بأس به غير منجرف مع التيار.

هذا التيار يمكن أن يكون له دور لا يستهان به في رفع الباقين إلى مستويات جيدة إن لم نقل ممتازة، من الرقي الفكري. وذلك:

- بإعلان التفاهة قيمة منبوذة جهاراً نهاراً قولاً وفعلاً، وعدم المجاملة أبداً في هذا المجال.



- والتواصل مع علماء النفس والاجتماع والقانون والدين والجهات المسؤولة للوصول إلى صياغة قوانين تحفظ الحريات الشخصية للمواطنين وفق شروط تحمي المجتمع بنيته الأسرية والأخلاقية والقيمية.
- وبالتوازي مع ذلك: يقع على عاتقها أن تقوم بدورها في إصلاح ما تمّ إفساده.

\*\*\*



## أسباب وحلول التفاهة

### ١- ديمقراطية الإعلام:

الديمقراطية ذاتها يجب في كثير من الأحيان أن تمارس بشيء من عدم الديمقراطية، لما للديمقراطية المباحة للجميع دون قيود من تبعات خطيرة تتجاوز في بعض الأحيان خطورة الاستبداد.

فإتاحة المنابر لكل من أراد، نتج عنه الكثير من النشاط في الإعلام المرئي والمسموع والمقروء.

والمطلوب: معالجة هذا الأمر وفقاً لخبراء في القانون والدين وعلم الاجتماع والنفوس، والوصول إلى صياغة قانونية تعطي الفرد حقه في إبداء الرأي دون هدم المجتمع.

### ٢- الصحافة والسوشيال ميديا ودورها في صناعة التفاهة:

المعلومة الشخصية: صارت مادة تجارية تباع وتشتري، ويتم الترويج لها لعرضها واستهلاكها، ومنها تختار الصحافة أخبارها.

وبنوع من الذكاء والدراسة الدقيقة من أجل تقديم المادة المطلوبة وفقاً للمزاج العام، واحتمالات انتشار الخبر وتناوله بشكل سريع داخل الأوساط الاجتماعية، ومن ثم جني الأموال والأرباح على حساب تفاهة وربما اضطرابات وأحزان الآخرين.

الأمر يبدأ بمعلومة أو معلومتين عن الحياة الشخصية، يتبعها صورة فصورتين، تلقى اهتماماً واسعاً من المتابعين.



أو قد تثير ضجة تزيد من شهرة ذلك الشخص، ويبدأ بعدها بالخوض في تفاصيل حياته، واحدة تلو الأخرى ظناً منه أنها باتت مستباحة ومهمة تعني متابعيه وجمهوره.

إذا رجعنا إلى عقد الستين من القرن الماضي (١٩٦٧) حيث وصف جي ديور في كتابه ((مجتمع الاستعراض)) المجتمع: بمجتمع الفرجة أو العرض، وراح يحلل جدلية الثقافة الاستهلاكية التي تسمو على مجتمعات العصر الحديث، والتي تتحكم في خيوط تحريكها المجتمعات الرأسمالية عن طريق الإعلام والإعلان...

تلك الثقافة التي أصبح فيها تسليع الأشياء ممتداً إلى جميع نواحي الحياة، بدءاً من السياسة والاقتصاد، ومروراً بالمسرح والفكر والثقافة، وانتهاء بالعلاقات الشخصية، وصارت المعلومة تباع وتشتري، ويتم الترويج لعرضها واستهلاكها كالسلعة تماماً.

أما العقدين الأخيرين -ومع ظهور مواقع التواصل الاجتماعي- فإن الأمر أصبح مختلفاً، فباتت الأخبار تعتمد على القدرة على تجميع أكبر عدد من الإعجابات والتعليقات والمشاهدات والمشاركات...

وصار الوهم عند تلك المجتمعات هو وحده المقدس، وأي حقيقة أو محاولة نقد ليست سوى محاولة لتدنيس ذلك المقدس.





بل وامتد الأمر لأكثر من ذلك:

فصار الظهور في عالم السوشيال ميديا هو الكينونة والوجود، وبات الكثيرون يقيسون مستوى حياتهم ووجودهم ودورهم في الحياة، ونجاحهم في عملهم أو علاقاتهم أو زواجهم أو تربية أبنائهم بعدد مرات ظهورهم وظهور صورهم أو منشوراتهم على مواقع التواصل الاجتماعي، وعدد الإعجابات التي يحصلونها من متابعيهم.

### ٣- الشبع بعد الجوع:

تعتبر وسائل التواصل الاجتماعي من النعم الكبرى، ولكن أين المشكلة؟

١- أن الإنسان عموماً لا يجيد استثمار النعم إلا فيما يصب في النهاية بانحداره لأدنى من مستوى البهائم، وانحدار المستوى القيمي للحياة لما هو أدنى من العدم.

فالأفراد لم يروا في هذه النعم إلا أنها باباً لكسب المال ونشر الرذيلة، وهتك الأعراض، وكشف الأسرار، واستثارة الغرائز الدنيئة في الإنسان لأدنى درجة.

٢- أن النقلات النوعية تكنولوجياً والتي نعيشها منذ أواخر القرن الماضي وإلى اليوم كانت متسارعة جداً، ولم يكن هناك مواز فكري مهياً للتعامل معها بحكمة، والاستفادة منها بعد طول حرمان وجوع.





٣- أن هذه القفزات المتسارعة ووصول ما يسمى بالأجهزة الذكية للسواد الأعظم، أنتج لنا كماً من الغباء أولاً. والتفاهة ثانياً، ولم نر من ذكاء هذه الأجهزة إلا انحلال المجتمعات، ودخول المراهقين بالدرجة الأولى في دوامة من الضياع الروحي والنفسي والفكري والعقدي في ظل غياب الظرف الأقوى "الضابط" سواء كان فكراً أو مجتمعاً أو أسرة.

#### ٤- مجانية التفاهة:

تعد مجانية الوصول للتطبيقات على الأجهزة الذكية من أهم أسباب انتشار التفاهة، الأمر الذي يجعل الإنسان هو الهدف، عملاً بالمثل القائل: (إذا كانت البضاعة المقدمة إليك مجانية فاعلم بأنك أنت البضاعة).

وكان من ثمار هذه المجانية:

أن ساوت ما بين أدنى الأفراد فكراً وأعلاهم، وفتحت الباب على مصراعيه للجميع ليعبروا عن آرائهم واهتماماتهم ورؤيتهم، وأن يتكلموا فيما يعرفون وفيما لا يعرفون، وأن يقدموا لنا نموذج الحياة العصرية كما يرون، ويقدموا رؤيتهم للحياة والأسرة والدين والجنة والنار بل ورؤيتهم في الذات العلية جل جلاله.

#### ٥- التنفيه الممنهج والدور اليهودي:

من يظن أن التفاهة والجهل والانحطاط الذي بات يحيط بنا من كل جانب يأتي من لا شيء، ويسير هكذا دون مخطط ومسير وممول، فهو واهم.



إن ما يسمى المؤامرة الكبرى هو حقيقة، لكن المشكلة في صنفين من الناس:

الأول: صنف سلّم واستسلم لها، وزعمه بأنه لم يعد الإمكان فعل أي شيء تجاهها، مما أعطى طباقها المزيد من الدعم والتحفيز ليتابع لعبته القذرة.

الثاني: من أنكر المؤامرة بشكل كلي، وأخذ يسخر من جميع المتحدثين عنها، مما يجعله ضمن اللعبة وخارجها في آن واحد.  
دور اليهود:

ربما يظن البعض أن الحديث عن وجود دور لليهود في التنفيه وانتشار التفاهة قياساً على دورهم في توجيه سياسات العالم هو بحدّ ذاته نوع من التفاهة!

هل من اتهم في توراته المزعومة نبي الله لوط بأنه ضاجع ابنتيه! ويهوذا بن يعقوب بأنه زنى بزوجة ابنه ثامارا! وآمنون بن داود بأنه اغتصب أخته سيعمل على بناء فكر مقدس أو ترك الفكر المقدس يحيا بسلام؟!  
نحن نعتقد:

أن كل ما جرى وما يجري في الشرق والغرب لليهود يد فيه بطريقة أو بأخرى، إن لم يكن بداية فلاحاً، لأنهم المسيطر الأقوى على الإعلام في العالم.



وهم أصحاب الدور الريادي في التفاهة إنتاجاً وترويجاً بشكل مباشر وغير مباشر، انطلاقاً من سيطرتهم، ولأن تتفيه وتسخيف العقل هو العامل الأقوى لتمتين سيطرتهم وتوسعها.

وقد قال الحاخام راشورون عام ١٨٦٩: إذا كان الذهب هو قوتنا الأولى للسيطرة على الإعلام، فإن الصحافة ينبغي أن تكون قوتنا الثانية.

ولمعرفة منهجية التفاهة ودور اليهود فيها، لا بد من معرفة علاقة اليهود بالإعلام على مستوى العالم وسيطرتهم عليه بشكل شبه كلي:

يكفي أن تعلم:

أن كيث روبرت مردوخ: إسترالي أمريكي يهودي، وهو قطب من أقطاب التجارة والإعلام الدولي، أنه أسس في عام ١٩٨٠ شركة ((نيوز كوربوريشن)) والتي تعمل في ثمانية قطاعات:

منها: الأفلام الترفيهية والتلفزيونية، وبرامج شبكة الكابلات، والبث المباشر من خلال الفضائيات، والمجلات والجرائد، ونشر الكتب وغيرها من الأنشطة.

وتملك هذه الشركة -وفقاً لدراسة ٢٠٠٠م، أكثر من ٨٠٠ شركة في أكثر من خمسين بلداً.

كما يملك كبرى الصحف العالمية: منها بوست وتايمز...

كما يملك أسهماً في شركة روتانا المعروفة في العالم العربي.



ويملك أسهم في مجموعة (mbc) التي تتكون من عشرات المحطات التلفزيونية والإذاعية.

وهذا جزء من الكلام عن امتلاك اليهود لزام الإعلام في العالم، الأمر الذي يدعونا للقول: بأن سيطرة اليهود على الإعلام تجيب عن تساؤلنا حول غلبة الجنس والبذاءة والسفالة على كل ما يقدم للجمهور.

## ٦- السياسة والتفاهة:

السياسة لها في كل عرس قرص، ويبدو أن قرصها من التفاهة والانحلال صناعة أو ترويجاً أو استخداماً هو الأكبر من بين بقية الأقراص.

ومن أبرز الأمثلة التي تبرز دور السياسة في تسويقها للتفاهة والانحلال:

استغلال الممثلة الاستعراضية مارلين مونرو: فقد تم صنعها والتطيل لها لتكون نموذجاً للصورة التي كانت تريد أمريكا أن تكون عليها بعد الحرب العالمية الثانية.

فقد استغلّت جنسياً لأسباب دينية وأسباب سياسية.

وأما إذا أردنا أن ننتقل إلى واقعنا العربي والإسلامي:

فكيفي أن تعلم أنهم يعملون على إغراق المجتمع العربي والإسلامي في السنوات الأخيرة تماشياً مع برنامج المقالب المعروف بكمّ غير



معقول من برامج التفاهة والهبل والهبث التعري، ومسلسلات  
تحدث في معظمها عن موضوعين رئيسيين:

الأول: هو اللا شيء والبلاهة.

والثاني: هو الجنس، والخianات الزوجية، وزنى المحارم، والشذوذ  
الجنسي.

النتيجة:

أن أي كلام يقال عن التفاهة أو الجهل أو الفساد أو غيره من  
المشاكل التي تعانيها شعوبنا، إن لم يضع السلطات الحاكمة في  
رأس الأسباب فهو كلام منقوص، وخيانة يشك في صدق نية قائله.

## ٧- تجار التفاهة:

هم:

الذين يسرقون أموال الناس تحت شعار الموضة والماركة وغيرها،  
لذا من الضروري أن يقوموا بصناعة وتمكين التافهين، وصرف  
الأموال على صناعتهم، لاستخدامهم لاحقاً في تسويق بضاعتهم،  
التي لن تباع إلا في مجتمع التفاهة الذي يساهمون في صناعته.

وهذا الأمر:

هو سبب توجّه الشركات العالمية والتجار الكبار إلى صناعة التافهين،  
وتأمين انتشارهم ونجاحهم في مواقع السوشيال ميديا والإعلام

وغيره، وجعلهم حديث الناس شاؤوا أم أبوا، ومن ثم الاعتماد عليهم دون سواهم في تسويق بضاعتهم.

## ٨- الميزانيات الضخمة التي تنفق على التفاهة:

الميزانيات الضخمة التي يرصدها وينفقاها التيار الأول -التجار- لتحقيق أهدافه ونشر تفاهته.

ويمكن لأي مهتم أن يدخل لحسابات ومواقع البرامج التافهة أو التافهين أنفسهم ليقرأ كم يكسب هؤلاء لقاء تفاهتهم.

خذ مثلاً:

الممثل الهندي شاروخان الذي تقاضى مبلغ ٤٠٠ ألف دولار وفقاً لعدة تقارير وردت بها صحف هندية، وذلك لقاء قبول المشاركة بأحد برامج المقالب، التي يقوم بها رامز جلال أحد مروجي الفوضى والتفاهة في العالم العربي. وغيره كثير...

ولا يحتاج الأمر لكبير جهد ليدرك المرء كيف تنفق الأموال يمناً ويسرة في كل الأبواب إلا أبواب الخير والصلاح وبناء الإنسان.

ويكفيك أن تعلم أنه في الوقت الذي تبحث فيه برامج قيّمة أو جمعيات تهتم بالإنسان عن متبرع يدعمها، تجد برامج الغناء والرقص وصناعة التفاهة ونشرها فائضاً في الأموال المقدمة إليها ولخدمتها.





والسرّ وراء هذا الإنفاق:

- أن الاستثمار في التفاهة يعد في كثير من الأحيان أكثر ربحاً من الاستثمار في التوعية.
  - أن التفاهة في بساطتها وسذاجتها تحاكي الطبيعة البشرية التي تميل إلى الرُّخي والدعة والتسلية، مما يجعل انتشارها وتقبُّلها لدى المتلقي أكبر وأسرع.
- وبالتالي: ربحاً أكبر، في حين يتطلب الوعي والتوعية الجهد والتعب والمثابرة.

- لأنها تتماشى مع رغبة السياسيين والحكومات في إبقاء الشعب خارج التغطية الفكرية، وبالتالي بقاء المذكورين في مراكز القوة، ومصّ دم الشعوب ونهب خيراتها.
- ٩- تبييض التفاهة:

إذا كانت أموال المخدرات والمال الأسود عموماً، لا يتم إظهارها إلا بعد أن يتم تبييضها عن طريق الشركات والتحويل ونحوها، فإن التفاهة يمكن تبييضها لتأخذ بعداً سامياً أو مقبولاً على أقل تقدير.

ويمكن تبييضها بصور مختلفة:

- يمكن تبييض فلم كامل من التفاهة أو السفالة بمشهد إنساني يقوم به البطل...
- كما يمكن تبييض كل السفاهة وكل التفاهة وكل الدعارة المقدمة للجمهور بعمل إنساني...



- كما يمكن تبييض حفلة غنائية ساقطة إداء ومضموناً بتخصيص ريع تلك الحفلة لأبناء الشهداء.

- كما يمكن تبييض التافهين والتافهات والداعرين والداعرات بتعيينهم سفراء للنوايا الحسنة، وحماية الطفولة، ونبذ العنف...

### ١- الهروب من الواقع القبيح إلى كوكب الوهم:

الهروب من الواقع القبيح ما هو إلا لسببين:

أولهما: عدم وجود ثقافة حقيقية مبنية على ما جاء به علم النفس والاجتماع للتعامل مع الجيل الشاب.

الثاني: الديكتاتورية والظلم الذي مارسته الحكومات التي تناوبت على اغتصابنا منذ ما يسمى بكذبة الاستقلال وإلى الآن.

### ٢- جهالة النفس:

الوقوف عند أثر عدم إدراك الذات في صناعة التفاهة، أو على الأقل الإنسان التافه:

المقصود من هذا: أن المرء حين يعرف ذاته كإنسان، ويعرف قيمة الروح التي تسكنه والنفس الذي يأخذه، ويعرف قيمة الوقت الذي يمتلكه، وقيمة الكون الذي أوجه الله فيه، فإنه يرتفع عنده معدل الروح في داخله، وينخفض معدل المادة، فيرتفع عن دناءة إهدار الذات فيما لا نفع فيه ولا فائدة، روحية أو فكرية أو إنسانية.



## وإن قيل: لماذا نجهل ذاتنا؟

- لغياب ثقافة القراءة وقراءة الثقافة من حياتنا، والذي كان له دور كبير في هذه الأمة التي تنتشر بين السواد الأعظم.
- غياب ثقافة الجلوس مع الذات: لأننا لا نريد أن نعرف تلك النفس أو الذات، لعجزنا أمام الواقع المؤلم الذي نعيشه كعرب ومسلمين، والذي يأبى فارضوه أن يغيروه.
- وسبب إعراضنا عن الجلوس مع الذات:
- خوفاً من أن نشاهد الحقيقة المؤلمة، حقيقة أن الألم والقهر والاستبداد المحيط بنا أكبر من أن نتحملة.
- أن الجلوس مع الذات سيدعونا في نهاية المطاف إلى هدم منطقة الأمان الوهمي التي نحيا ضمنها.
- لأننا لم نعد نرى للحياة أي قيمة حقيقية.

## ١٢- تحقيق الأنا وإثبات الذات:

يعد تحقيق الأنا وإثبات الذات من الحاجات الأساسية للإنسان من منظور علم النفس.

ولما كان إثبات الأنا وتحقيق الذات في ميادين العقل والفكر والسلطة والمال والجاه والمجتمع شاقاً، ويتطلب الكثير من البذل والوقت والصبر والمثابرة، وجد كثيرون في التفاهة على اختلافها باباً من أبواب تحقيق الأنا، وإثبات الذات نظراً للجهد البسيط الذي يتطلبه هذا التحقيق وهذا الإثبات.



يكفي أن يجد الفرد نموذجاً يعجب به من التافهين المتصدرين ليقوم بمحاكاته وتقليده.

فإن لم يجد فلن يعجزه إيجاد الحل:

ففي عصر التفاهة أصبح إيذاء النفس والآخرين باباً واسعاً من أبواب الشهرة والمجد الزائف وجلب اللايكات...

في عصر التفاهة صار لمجال كشف المستور دور كبير لتحقيق ما يصبو إليه الفرد، نظراً لوجود البيئة الخصبة الجاهزة لتلقي هذا المحتوى.

وهي هنا -البيئة الخصبة- النفس البشرية التي تحب الفضول، وتهوى الفضائح والاطلاع على عورات الناس، ولذا نهى الإسلام عن التجسس والتحسس وتتبع عيوب الناس.

### ١٣- التقليد والمحاكاة:

إن من طبع الإنسان أن يقلد ويحاكي الآخرين في سلوكهم، لا سيما في مرحلة الطفولة والشباب.

ومع تصدر التافهين، وغياب القدوات الحقيقية، أو ضعف تأثيرها أو إثباتها نظراً لتآمر الجميع عليها، وغياب الأسرة لسبب أو لآخر، وغياب المدارس القادرة على تكوين إنسان حقيقي، وإنتاج مخرَج إنساني متميز، أدى كل ذلك إلى أن يصبح هؤلاء التافهون هم القدوات، وهم الذين تتم محاكاتهم وتقليدهم مما أدى بدوره إلى إنتاج المزيد من الإنسان الغبي الفارغ، الإنسان المسخ الهلامي.



#### ١٤- ما بين محاكاة الواقع وتفسيه:

إن تبرير ما يقدم من محتوى هابط بأنه محاكاة للواقع غير مقبول، لأن ما يقدم يجب أن يكون لتغيير الجزء السلبي من الواقع، ولتغيير علاقته وكيفية تعامل الجمهور مع هكذا واقع.

فيجب أن يحاكي الواقع بواقع أرقى منه، لا أقل دنوّ، يحاكي ويبني بذور ما يجب أن يكون، لا أن يعزز ويضخم ما هو كائن، ويزيده ترسيخاً وانتشاراً.

فالمطلوب هو تغيير الواقع لا محاكاة الواقع.

#### ١٥- الفراغ:

الإسلام عظم قيمة الوقت، واعتبرها نعمة عظيمة.

ولذا فإن الحديث عن الطاقة المهدورة (الفراغ) وآثاره يمكن أن يوظف في معرض حديثنا عن شتى المشاكل التي تعترضنا، اجتماعية كانت أو سلوكية أو أخلاقية أو غيرها، لأن كل فراغ يجب أن يملأ بشكل أو بآخر، وقد قيل: من لم يشغل نفسه بالحق، شغلته نفسه بالباطل.

#### ١٦- الفراغ العاطفي:

الفراغ العاطفي أخطر وأعنف من الفراغ العام.

فقوة العاطفة تساوي غريزة حب البقاء، وغريزة الجنس نحو الطرف الآخر في الدرجة والقوة.



وعليه: فالفراغ العاطفي كما يكون حافزاً للإبداع واستحقاق المجد وتحقيق الأنا وإثبات الذات، فيمكن أيضاً أن يكون دافعاً للهروب إلى التفاهة التي تدفعهم للابتذال أكثر وأكثر، ليحظوا بالإعجاب والتقدير والمديح من قبل الآخرين لسد هذا الفراغ.

### ١٧- فقدان الهوية:

فقدان الهوية أظهر لنا الإنسان الفارغ اللامنتمي، والذي يتبعه طبيعياً أن يصبح المرء إمعة يتبع ويحاكي ويقلد التافهين الذين صُوروا له أنهم مشاهير، وأنهم نخبة القوم.

### ١٨- تفكك الرابط الاجتماعي والأسري:

سابقاً كان للمجتمع والأسرة والبلدة دور كبير في ضبط السلوك الاجتماعي، وتصحيح أخطاء وانحرافات الفرد، أما اليوم فقد أصبح الفرد يكتب ويفعل ما يريد بغض النظر عن صواب ذلك من عدمه، قيمته من دناءته أو سفاهته، حيث لم يعد هناك أي خاطر للمجتمع ولا الأسرة، وذلك بسبب تفكك الرابط الاجتماعي والأسري.

وقد كان لتفككه أسباب: (أسباب غياب الوازع الاجتماعي والأسري)

- التسويق الممنهج للنموذج الغربي: للمجتمع والأسرة وللحريات العامة والشخصية، والذي أدى في نهاية المطاف إلى تغليب المكسب الاقتصادي والسياسي على ما سواه.



- الهجرة الداخلية بحثاً عن الرزق، أو حياة أفضل، وما تبعه من اختلاط الحابل بالنابل.
- الهجرة الخارجية من بلاد العجائب إلى المجتمعات الغربية والتأثر الكبير بثقافتها، ولا سيما من قبل جيل الشباب، بحثاً عن الأمان والكرامة وحياة أفضل.
- الحروب التي أعلنتها الكثير من الدول العربية في السنوات الأخيرة ضد شعوبها، وما تبع ذلك من تمزق اجتماعي وأسري كبير.

## ١٩- الحَوْل الاجتماعي:

من أسباب التفاهة:

- انحراف الرؤية، وتغير وتغيير المعايير التي ننظر من خلالها للتقدم والحضارة والرقى الإنساني.
  - التحول من النظر للفكر وما يسهم في إسعاد البشرية إلى النظر للماديات والبنيان واللباس.
- ويكفيك أن تقارن بين مقولة ديكارت: (أنا أفكر.. إذن أنا موجود)، التي كانت شعاراً وعلامة لوجود الفرد، وبين الحال اليوم الذي أصبح: أنا على السوشيال ميديا إذن أنا موجود...

## ٢٠- البيئة والتفاهة:

أثناء الكلام عن أسباب التفاهة، لا يمكن إنكار أثر المحيط الذي يحيا به الشخص، لأنه شاء أم أبى سيتشرب واقع ومحيطة، ومعطيات هذا الواقع والمحيط في شعوره ولا شعوره، ولا سيما بالدرجة الأولى للطفل والشباب.



ولعلم أهم مؤثر في هذا المحيط هو الصديق، فالفرد يستطيع أن يجد دليله في ذاته، وذلك عن طريق مراقبة نفسه بدقة ليجد أثر المحيط والأصدقاء تحديداً في كلامه وسلوكه، والأمثلة على ذلك كثيرة من التاريخ والواقع:

ومن ذلك: قصة أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم الذي بقي على كفره بالإسلام حتى آخر لحظات حياته، لا لأنه لم يقتنع به كدين وبمحمد كنبى، بل لأنه صاحب أسافل القوم.

### ٢١- غياب البديل القوي:

إن غياب البديل القيم القوي على اختلاف القيمة التي يقدمها أو لنقل: ضعف المادة المخصصة لهذا المحتوى: إما لعدم قدرة صاحبه على ذلك، أو لعزوف أصحاب الشأن عن الاستثمار فيه أو دعمه.

بالإضافة إلى ضعف التسويق بأشكاله المعاصرة، والتقرب من الناس الذي أجاده التافهون ولم يجده أصحاب الفكر وكثير منهم.

### ٢٢- رشاقة التفاهة وبلادة القالب الفكري:

القالب البديل المملّ والبعيد عن المتعة والواقع، الذي يصب فيه العلم والمعرفة والفكر هو أحد أسباب التفاهة والجهل على حد سواء.

مع العلم أنه لا علاقة بين التفاهة والجهل، إذ من الممكن أن يكون الإنسان جاهلاً ولا يكون تافهاً، والعكس صحيح: حينما يتحول العلم من قيمة روحية وفكرية إلى صنعة، ويتحول إلى وسيلة لا غاية.



هذا بالنسبة للقالب البديل.

بينما نجد أن القالب الذي يقدم به أو من خلاله الجهل والمحتوى التافه يتمتع برشاقة منقطعة النظير، حجماً وشكلاً وصورة وصوتاً وزمناً، ويحاكي طبيعة النفس البشرية المائلة لحب البساطة والمتعة وعدم التعقيد ولكل ما هو جديد ومتجدد.

### ٢٣- الأسبقية في المبادرة والمرونة في الطرح:

إن الأسبقية في المبادرة والمرونة في الطرح التي نجدها عند من ينشرون التفاهة جعلتهم يحتلون الميدان، ويرفع العلم في وسطه. بينما لا نجد ذلك عند من ينشرون المعرفة والمعلومة والتنوير، فهم:

- أولاً: ليسوا سباقين، مما يوقعهم في مشكلة عندما يأتون للكتابة على صفحات العقل عند الشعوب.

والمقصود بالمشكلة هنا: أن العقول قد امتلأت وانتهى الأمر.

فيتطلب التنوير وقتها والكتابة على صفحات العقول محو ما فيها أولاً قبل ملئها، مما يستدعي مزيداً من الوقت أطول، وعندها يصبح هناك مشكلتان: المحو أولاً والكتابة ثانياً.

وهذا بدوره قد يؤدي إلى عزوف كثير من أهل الفكر عما يريدونه لطول المشوار.



وهم - ثانياً: ليسوا مرنين، لا في أساليبهم ولا في طريقة تقديمهم أو محاكاتهم للناس والواقع.

## ٢٤- محاكاة التفاهة لتوجهات الجمهور:

ويتم من خلال:

- وجود جهات وشركات متخصصة بمعرفة نسبة المشاهدين والمتابعين، والمواضيع التي يُتطرق لها، هذا: وقر لتلك الجهات أرضية من الداتا كافية ووافية لتعرف كيف تدير الدفة وتقود المركب حيث شاءت، وهذا نفسه ينطبق على تسويق التفاهة والجهل وغيره.
- ومن أشكال محاكاة التفاهة لتوجهات الجماهير: هي بعدها عن التعقيد والجدل العقلي والإرهاق الفكري، والبساطة التي تقدم من خلالها ومحاكاتهما لتلك الطبيعة بحبها للراحة والتسلية المستمرة.

## ٢٥- صمت الجمهور في حضرة الخيانة:

الصمت في حضرة التفاهة عار وخيانة، لأن لما تم الصمت في حضرة التفاهة، توهم التافهون أنهم على حق وأنهم حقاً النجوم والرواد.

ولهذا الصمت أسباب:





- النموذج الحديث للحياة الاجتماعية الداعي لأن يتمحور اهتمام كل فرد حول نفسه، وأن ما يفعله الآخرون في حياتهم يندرج ضمن باب الحريات.
  - مجاملة التافهين من قبل جمهورهم، لا سيما من المقربين إليهم.
  - الخوف من سلطة هؤلاء التافهين وارتفاع أصواتهم وقدرتهم على تحريك منصاتهم ومموليهم وجمهورهم وأصدقائهم في المحفل السري لصناعة التفاهة بكل ألوان البذاءة والتجريح.
- ٢٦- كثرة الطيبات ومشقة الوصول:**

الجميع يريد الجنة، لكن لا أحد يريد أن يموت:

كذلك الأمر بالنسبة لملذات الحياة، فالجميع يريد أن ينالها، لكن لا أحد يريد أن يدفع ثمن الوصول إليها من تعب ومشقة وغيرها..

ووجود هذه الملذات -مادية أو معنوية- مع عجز الإنسان عن الحصول عليها؛ إما لعدم الرغبة في العمل الجاد، أو لصعوبة الوصول إليها، كل ذلك:

اجتمع وشكّل في كثير من الأحيان دافعاً أو مبرراً للتنازل عن الكثير من القيم والمبادئ والتوجه للتجارة الرباحة ((التفاهة صناعة أو ترويحاً)).

**٢٧- كن تافهاً واغرف المال:**





إنها ليست رواية أو عنواناً لمقالة، إنها عنواناً مشفراً غير مباشر لأحد البرامج التلفزيونية والعربية.

البرنامج الذي بلغت تكلفته ملايين الدولارات، كان عبارة عن مسابقات يحصل فيه الفائزون على مبلغ كبير.

البرنامج فارغ المضمون من أي قيمة، يطرح أسئلة تافهة عدمية لا تحتوي على أي فائدة، ك:

- ما نسبة العرب الذين يستيقظون لشرب الماء ليلاً؟

ما القيمة المعرفية لهذا السؤال؟

بالوقت الذي أغفلت ما يتعلق بأحوال الأمة.

المشكلة لا تنحصر بهدر المال فقط..

بل المشكلة الأخطر من ذلك بكثير: أن الأمر مدروس بالورقة والقلم وبهندسة عقلية ونفسية وروحية وفكرية لترسيخ مبدأ: أن التسلية أو الترفيه عن النفس يساوي التفاهة واللا فائدة وهدر الوقت.

٢٨- الكلمة الأخيرة (نكون أو لا نكون):

هل حقاً وصلنا إلى هذه الدرجة من الانحطاط الفكري والأخلاقي التي تجعلنا نصور تفاصيل حياتنا اليومية في سبيل الشهرة والحصول على المال.

هل وصلنا إلى درجة من الانحلال وفقدان القداسة لنعرض تفاصيلاً عن أسرنا وأعراضنا لم تكن تناقش إلا في الغرف المغلقة وبأصوات منخفضة.





هل وصلنا لدرجة أن قذارة وتفاهة المحتوى صارت هي الشرط الأول لنجاحه وانتشاره؟ وصار الزوج والزوجة يعرض كل منهما الآخر بأوضاع أقل ما يقال: إنه لا يجب أن يراها أحد.

فقط من أجل كسب الشهرة والحصول على المال؟

ما الفائدة المرجوة من ذلك؟

لا يوجد فائدة غير هدر الإنسان في التفاهة، عدا الآثار السلبية المدمرة التي ليس آخرها المشاكل النفسية والأسرية والاجتماعية عند من لا يملكون ما تملك أو تملكين.

المشكلة عندما لا نشعر بالتفاهة التي نعيشها، لأن إلف الشيء يفقد الإحساس به، ومن يعيش بين النتن والعفن يفقد الإحساس بالنتن والعفن.

لقد طغت المظاهر وضاعت الجواهر، وذلك عندما:

تكون صورتني على الميديا وأنا أصلي - أدعي - أحج، أهم من الخشوع ومن الحضور القلبي.

يكون التباهي بعدد ختمات القرآن أهم من فهم ولو آية وتطبيقها.

عندما يصبح الهوس الأكبر نفخ الشفة، وشدّ الورك، ولون الشعر، وطول الحذاء، وعرضة الذقن، ورفع الحاجب.

ما النتيجة؟

المزيد من حالات التفسخ الأسري والخيانة والطلاق وضياع الأطفال.



## المطلوب:

نحتاج نهضة بالفكر الأسري والفكر الاجتماعي عموماً، نحتاج التخلص من نظام التفاهة الذي يحكمنا.

(نكون أو لا نكون) كلمة قالها شكسبير يوماً. أما اليوم: إما أن تكون تافهاً أو لا تكون!

هذه الحقيقة ستصبح أكبر من حقيقة الدين والأنبياء، إن لم نتحرك ونستنفر لمواجهتها ومحاربتها، وذلك:

حين يصبح المنصب والجاه للذي لم يقرأ كتاباً ولم يحمل قلماً، بينما المفكر والدارس يبحث عن عمل يسد به رمقه!

حين تصبح الراقصة والعاهرة هي الأم المثالية، ولا تجد أم طاهرة من يوفر لها الدواء لزوجها أو لطفلها.

حين تكون من أفسدت أجيالاً بأكملها سفيرة للنوايا الحسنة، ولا يجد المفكر من يخرج من تحت سياط الجلادين.





حين يصبح شهر رمضان شهراً لعرض الفتن والشهوات وزعزعة العقائد وهدم الأسر، ولا تجد بلاداً مقدسة باتت تزينها العاهرات من يدافع عنها.

وقتها سنكون مجبرين أن نختار: إما أن نكون تافهين أو لا نكون.

\*\*\*



00905314372599



ghirascenter.org



info@ghirascenter.org

# الفصل الثاني

# الجهل



00905314372599



ghirascenter.org



info@ghirascenter.org



## الباب الأول

### ما هو الجهل؟

الجهل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: جهل مركب، وهو تصور الشيء على غير هيئته.

وسمي مركباً: لأنه مركب من أمرين:

الأول: عدم العلم بالشيء. الثاني: الاعتقاد الذي هو غير مطابق لما في الخارج.

القسم الثاني: جهل بسيط، وهو انتفاء إدراك الشيء بالكلية بمعنى عدم العلم.

ومن قبيل الأول قوله تعالى: (وَلِكَيْ أَرَاكُم قَوْمًا تَجْهَلُونَ) [هود: ٢٩].

### الجاهل والأمي:

كثيراً ما يتم الخلط بين الجاهل والأمي:

الأمي فقط لا يعلم وإنما ليس جاهلاً، لأن الجهل ليس نفي العلم، بل أن يعلم قضية تخالف الواقع.

وعليه:

فمشاكلنا ليست من الأميين، بل من الجاهلين، لأن الأمي لا يعلم قضية ما، فنخبره بها، أي: نحتاج معه لمرحلة عقلية واحدة، فهو لا

علم له بالقضية فنخبره بها.

أما الذي عنده قضية مخالفة للواقع، فنحتاج معه لعمليتين عقليتين:

الأولى: تتمثل بأن نُخرج منه القضية الجاهلة التي فيها النزاع.

الثانية: أن نزرع عنده القضية الصحيحة.

من هنا:

فإن مواجهة الحق ومقاومته ستكون أولاً من الجاهلين.

ومثال ذلك من التاريخ: العنصرية والقبلية التي كانت موجودة في مكة، ففكرة تصنيف الناس وفقاً للعائلة والعرق كان هو السائد آنذاك.

وعندما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بميزان آخر في تصنيف الناس وهو التقوى والعمل، اعترض عليه المشركون وقاوموه... لأنهم لم يتصوروا أن يتساوى عمرو بن هشام مع بلال بن رباح!

### أنواع الجهل:

الجهل بطبيعته نوعان:

الأول: الجهل الذاتي: وهو ما ينتجه الإنسان بنفسه، وهو عبارة عن ظاهرة فردية أو جماعية تنشأ عن خطأ مقصود أو غير مقصود.

وهذا النوع من الجهل: أي محاولة لتصحيحه سيواجه بالرفض من قبل الجاهلين، كما حصل مع لوط وقومه الذين انتشرت بينهم





الفاحشة، حيث وصل الأمر بقومه أن يقولوا للذين يصحون لهم  
الخطأ: {أَخْرِجُوهُمْ مَنْ قَرَّبَكُمْ إِلَيْهِمْ أَنْاسٌ يَتَّبِعُونَ} [الأعراف: ٨٢].

الثاني: الجهل الصناعي، أو علم صناعة الجهل، وهو علم يتم نشره  
بأحدث الطرق والوسائل العلمية، ليكون بضاعة مصنعة، ونتاجاً  
لبرامج وبحوث ودراسات علمية، تُحوّل إلى سلعة تعرض وتسوّق في  
متاجر السياسة والأعمال، ليصبح المستهلك قطاعاً واسعاً من  
المجتمع، لا يفقه خطورة هذه البضاعة، وحجم الكارثة التي ستحل  
به.

\*\*\*



## الباب الثاني

### الجهل ما بين الأسباب والحلول

#### ١- تقدير العقل:

قبل البحث في الحلول لمعالجة هذا الجهل المتعلم، لا بد أن نعيد الأمور إلى نصابها، وأن نسمي الأشياء والحقائق بمسمياتها.

فالدين الإسلامي صار اسمه دين الإرهاب  
والذي يفسد الدين والأخلاق صار اسمه نجماً  
والعاهرة صار اسمها نجمة استعراضية... وهلم جر

الحل:

أول خطوة في طريق الحل هي العودة لإحياء ثقافة العقل وثقافة تقدير العقل.

إحياء ثقافة العقل وتقديره سيقودنا بلا شك إلى إعادة إحياء العلم، العلم الذي ينفع البشرية والمجتمعات، وقد أشار الحديث النبوي إلى ذلك عندما ربط رفع العلم بنزول الجهل: ((من أشرط الساعة: أن يرفع العلم، ويثبت الجهل)).

#### ٢- المعلومة كأداة لمعالجة الجهل:

التعليم أو المعلومة أيهما يزيل الجهل؟

كلاهما، فالتعليم أو المعلومة كلاهما يعطيان المعرفة، والمعرفة بحد ذاتها ليست علماً بقدر ما هي مهارة أو معرفة بشيء ما، لأن





الإنسان يحكمه في النهاية واقعه وبيئته أكثر مما تحكمه المعلومات التي يقرؤها، لأن الذي يسيّر الشخص هو لا شعوره وليس عقله المخزن للمعلومات.

فماذا نزيل الجهل إذن؟

طبعاً بالعلم، لكن ليس أي علم، إنما بالعلم المرتبط بالواقع الذي يعيشه الفرد، ويمتصه لا شعوره، وذلك من خلال إيجاد بيئة متكاملة لتكوين هذا الإنسان الذي يمكننا أن نطلق عليه فيما بعد إنساناً يمتلك عقلاً متنوراً.

وأول خطوة في إيجاد هذه البيئة: تبدأ من الأسرة، وتليها المدرسة. ووفقاً لهذه البيئة الأولى يكون المخرج الإنسان لدينا: إما إنساناً ذا عقل قادر على أن يسهم في تغيير الواقع. أو يكون المخرج الإنسان هو ما نراه اليوم للأسف.

فإن قيل: إذا كانت الأسرة هي ذاتها غارقة في الجهل، سواء البسيط أو المركب، فما هو الحل؟ وكيف سنوجد هذه البيئة؟

الحل:

يكون - بالتوازي مع العمل على إصلاح الأسر عبر إيجادها ضمن أسرة أكبر منها- بإيجاد أسر افتراضية متكاملة قادرة على تكوين مخرج إنساني كالذي نطمح إليه.



إذ بإمكان أهل الشأن الذين سيقومون على إنشاء هذه الأسر الافتراضية العمل على تهيئة الأرضية عند المجتمع أو الأسر المستهدفة لتقبل هذه الفكرة.

### ٣- نحن والآخري:

في طريقنا لمحاربة الجهل وإيجاد مخرج إنساني متميز ينبغي:

- أن لا نغفل أهمية العمل على تكوين عقل ملكاته البحث والتدارس والنقد والتحليل والاستقراء واحترام الآخر: لنخرج من كوننا عبارة عن قطيع من الأغنام.

ولنخرج من هذه الدوامة الطائفية والعرقية وغيرها من إلغاء الآخر.

- أن نعلم أن كل محاولة لمعالجة الجهل بل ولمعالجة أي مشكلة ستكون بلا جدوى إن لم تتماشى مع معالجتها لهذا الانقسام الكبير الذي نعيشه على شتى الصعد فكرياً ودينياً وطائفياً وعرقياً ومناطقياً وأسريراً وغيره.

حيث إن المجتمعات المعاصرة صارت أكبر من أن تستطيع تغييرها فئة لوحدها، وإن لم نضع جميعاً يداً بيد، فستبقى الأيدي السوداء تضرب وجوهنا وتعبث بنا جميعاً.

ولكن هناك عدة عقبات:

- أن عقولنا لا تحتمل فكرة أن هناك في المرحلة الحالية ما هو أهم من معرفة من هو على الحق ومن على الباطل...





- أننا بدلاً من أن نشتغل بعيوب أنفسنا اشتغلنا بعيوب بعضنا البعض.
- أننا في عالم الفكر والعقيدة بدلاً من أن يقوم كل طرف من المتخالفين ويظهر للآخر جانب الجمال والقيمة اللذين يحتويهما فكره ومذهبه، فإن الفرد منا يسعى جاهداً في إظهار ما عند الطرف الآخر من العيوب والأخطاء.

### خطوة نحول الحل:

وهذا لن يصلح ويتحقق إلا بإصلاح منابر العلم، على اختلافها، ويأتي في مقدمتها: الأسرة والمدرسة، ويليها الإعلام وغيره.

فعلينا أن نوجه جل قدراتنا وجهودنا لإصلاح المدرسة -طبعاً والجامعة- لأن الطبيعة الشخصية والفكرية للإنسان تصبح صعبة العجن بعد سنّ معينة، ولنقل: المراهقة.

جامعاتنا اليوم: كثرت مناهجها وقلت نتائجها.

خرجت لنا طالباً عنده معلومات، لكنها لم تخرج طالباً عنده علم.

أعطينا طالباً معه شهادة، لكنها لم تعطينا طالباً عنده خلق، وتمدن فكري...

### ٤- منابر العلم:

المنابر العلمية التي ستخرج الجيل الذي نطمح إليه، لا شك أنها ليست المنابر الحالية، يعني: ليست المنابر الحالية بالحال التي هي عليها اليوم.





وهنا لا بد من التنبيه إلى أمور:

- أن تزيل مدارسنا وجامعاتنا... أسوارها التي أصبحت حاجزاً منيعاً بينها وبين المجتمع، وبين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون.
- أن تخرج من دائرة تقييم الطلاب والمتعلمين وتصنيفهم ووفق حفظهم أو وفق درجاتهم.
- أن تبحث وفق منهجية مدروسة يشارك فيها علماء من شتى الاختصاصات عن أساليب أكثر حضارة في التقييم والتصنيف.
- أن تخرج من دائرة التلقين في التعليم، وأن تبحث عن وسائل وقوالب أخرى لتخرج بالمعلومة من كونها بضعة أسطر يحفظها الطالب إلى واقع يعيشه.

هذا الوضع في الجامعات تسبب في أمور مؤلمة، وقصص محزنة:

- إنسان منعته درجته الدراسية بأن يدرس في العلم الذي يحبه.
- طالب أمضى سنوات فيما يسمى مقاعد الدراسة ولم يتعلم خلالها شيئاً، وإن تعلم لم يستفد منها.

وهذا ما جعل الجامعة أحد أسباب ما نعانيه من جهل، بعد أن حوّلتنا من أشخاص مفكرين بالفطرة إلى ما يشبه الدابة التي تحمل أسفاراً على ظهرها.

باختصار:

يجب أن يرتبط العلم والمعرفة بالواقع والتطبيق العملي.



## ٥- ضياعنا ما بين الشرق والغرب:

من المؤسف أننا كعرب ومسلمين لم نعد نعلم ماذا نريد، وأي فكر يجب أن نتبنى.

نحن نؤمن بأنه لا الشرق سيصبح غرباً، ولا العكس، ولكننا نؤمن أيضاً: كما أن لنا مناقب لنا مثالب، والغرب كذلك.

والفرق بيننا:

أن الغرب درس ثقافتنا وحضارتنا وديننا ومجتمعاتنا، ونتيجة لذلك كانت له الرؤية الواسعة التي استطاع من خلالها أن يتقدم وأن يعرف من أين تؤكل الكتف.

أما نحن -للأسف- فإلى الآن ما زلنا تائهين.

العصر الحالي صار أكبر بكثير من أن نفهمه ويكون لنا حضور فيه بأدواتنا وعلومنا القديمة.

شئنا أم أبينا نحن جزء من هذا الكون، وبالتالي:

إما أن نكون فاعلين أو مفعولين.

وللخروج من المفعولية: يتوجب على رجال الدين بجانب أصحاب الفكر والرأي والسلطة، أن يساهموا بدفعنا نحو الانفتاح على الآخر، والاطلاع على علومه وثقافته ومجتمعاته وتدارسها.

وهو ما دعا إليه القرآن: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات: ١٣]





## ٦- غياب ثقافة القراءة:

وفقاً لقراءتنا للعديد من الدراسات عن واقع القراءة في مجتمعاتنا والمجتمعات الأخرى، وجدنا أن متوسط القراءة الحرة للفرد العربي لا تتجاوز ٦ دقائق سنوياً، بمعنى: أن كل ٨٠ شخصاً في العالم العربي يقرأون كتاباً في السنة.

بينما يقرأ اليهودي الواحد ٤٠ كتاباً، والأوروبي ٣٥ كتاباً.  
وعليه:

لن يكون هناك إنتاج فكري لعدم وجود متلقٍ لهذا الإنتاج، فالعالم العربي أجمع ينشر سنوياً ما لا يبلغ ١٧٠٠ كتاب.

أما بالنسبة للترجمات إلى العربية من اللغات الأخرى فلا يتعدى ما ترجم للعربية منذ عصر المأمون إلى يومنا ١٠,٠٠٠ كتاب.

والأسباب لأزمة الثقافة في البلاد العربية متنوعة، منها:

- مرض الفقر الذي حُقن به المواطن العربي.
- والسلطات السياسية التي تحكمه، والتي لا ترى في الكتاب والقراءة إلا إرهاباً لانتهاء سرقته للسلطة والبلد.
- غزو الأجهزة الذكية وسيطرتها على حياة الناس وأوقاتهم وأديانهم وأرواحهم.
- كان الكتاب للفرد باباً من أبواب التميّز، وإثبات الذات وإرضاء الأنا، لكن مع دخولنا عصر التفاهة صار التميّز وإثبات الذات لا يتم إلا من خلال فيديو تافه أو بوست أو كلمات على تويتر.



## ٧- الكبر:

كما أن الكبر يكون سبباً للتعالي على الناس أو للظلم، فمن الممكن أن يكون أيضاً سبباً للتعالي على التعلم وظلم النفس. وهو -للأسف ثقافة سائدة في مجتمعاتنا، والناظر للبعد النفسي والفكري للعالم الثالث لكلمات متداولة ك ((يروح يقول لحالو - يروح يعلم حالو - بوزع فهم على عيلتو كلها - بدو مائة سنة ليصير متلي)) يدرك تماماً انتشار ظاهرة الكبر، ومن تبعات ذلك أن يستنكف الفرد أن يقول: لا أعلم، كلامك صحيح، ربما أكون مخطئاً...

## ٨- الجهل الاختياري:

لما كانت الحقيقة مرة أو قاسية، أو تخالف الهوى في كثير من الأحيان، يلجأ البعض لاختيار الجهل والوهم، كونه مريح وأقل كلفة.

## ٩- وهم المعرفة:

وهو المعرفة أو نصف العلم هو أحد أسباب الجهل الجوهرية. فظاهرة ادعاء المعرفة منتشرة في مجتمعاتنا انتشار النار في يابس الحطب، وقل أن تسمع من يقول: لا أعلم... ومن يتأمل قصة موسى عليه السلام مع الخضر، يرى تلميحاً ورسالة لنا يجسدها قوله تعالى: { وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } [يوسف: ٧٦].

## ١٠- الجهل بالإنسان والمجتمعات:



في طريقنا لمعالجة الجهل ونشر العلم، نرى أننا كمجتمعات عربية ومسلمة تحديداً لن ننهض، ونفهم أنفسنا ونخرج من مشاكلنا ما لم يكن علم النفس وعلم الاجتماع طبقاً أساسياً في أي وجبة نقدمها للعقل.

لأن أي علم يحصله الإنسان ما لم تؤخذ معه هذه الجرعات سيؤدي بنا بطريقة أو بأخرى إلى أنواع من الشذوذ الفكري.

بمعنى آخر: كل ما أوجده الله في الكون قد أوجده لأجل الإنسان، فإذا لم ندرس ونفهم هذا الإنسان لن يكون لدينا البعد الثالث في النظر للإنسان وللمجتمعات من حولنا.

اليوم لم تعد كلمة على المنبر تمنع سرقة أو توقف ظلماً، كما كانت، اليوم: السرقة والتحرش وتلويث البيئة وغيرها مما نعاني منه له أبعاد أكبر من أن نحصرها فقد بموضوع عدم الالتزام الديني.

وفي هذا السياق: يروى أن عمر بن الخطاب عين عمرو بن العاص والياً على مصر، فسأله: لو جاءك سارق ماذا تفعل؟ فكان رده السريع: أقطع يده، فقال له: لكن إن جاءني جائع من رعيته أو عاطل فسأقطع يدك.

عمر رضي الله عنه كان خبيراً بالنفس والمجتمعات، علم أنه لم يكن لنفس بشرية حرة في زمانه أن تسرق لولا وجود ما يسمى في زماننا بالفساد الإداري والعبث في المال العام الذي يفترض أن يسدّ حاجات الناس، لذلك لم ينظر للقضية من بابها الديني، وإنما من بابها الاجتماعي.



ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة: ((من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)) فيه أبعاد نفسية واجتماعية، يمكن فهما لمن تدبرها.

### الخلاصة:

إن لم نفهم أبعاد النفس البشرية وأبعاد هذه المجتمعات، فإننا لن نمضي قدماً، وسنبقى نراوح مكاننا، ونعيش في وهم أننا خير أمة أخرجت للناس.

المرحلة الراهنة تقول: بأنه يكفينا مهارات في الخلافات، وما أجملنا أن نعمل بقول العز بن عبد السلام: ((من نزل بأرض تفسى فيها الزنى، فحدث الناس عن الربا فقد خان)).

فالقراءن الكريم والدعوة المحمدية بأكملها كانت تسير وفق منهج فهم الواقع وترتيب الأولويات.

### II- غياب مقاييس الذكاء:

من الأخطاء الكبرى الممارسة في مدارسنا وجامعاتنا، وفي حياتنا عموماً:

أننا نضع مقياساً واحداً للذكاء والعقول، وهو القدرة على الحفظ والدرجة التي يحصلها الطالب، مما أدى إلى خسارة ميادين كثيرة لعظماء وجهوا لميادين أخرى، بل وأدى ذلك لكوارث إنتاجية.

إضافة لما نرى من مشاكل وأمراض اجتماعية ومعقدين نفسيين بعد أن فشلوا في مجالهم.





## ١٢- الرجل المناسب في المكان المناسب:

لو أسقطنا هذه الكلمة على واقعنا نكاد نجزم بأننا لا نرى منها شيئاً، فلا يكاد يوجد رجل في مكانه المناسب.

فحالنا يشبه قطة ترقد فوق البيض لتفقس، وحمامة ترضع القطط لتعيش وتكبر، فلا البيض فقس، ولا القطط كتب لها الحياة.

إن لم نحلّ هذه المشكلة؛ فلن ننتهي من أمراضنا الاجتماعية والنفسية والفكرية والدينية.

### مشكلة أخرى:

مشكلة الوساطة (أنا من طرف فلان) في مجتمعاتنا هي سبب من أسباب هذه المشكلة.

ومن أجل مواجهتها:

يجب علينا أن ندرس الفساد السياسي والوظيفي والإداري، ونبحث في أسبابه وحلوله، وأن نعالج الفكر المجتمعي الذي يرى: أن الرجل الذي يخدم أبناء بلده وأقربائه ويقدمهم على غيرهم ولو بدون أدنى مؤهلات، هو رجل شهم والخلوق والذي يضرب به المثل.

وأن الذي لا يفعل ذلك استجابة لضميره ومصصلحة المجتمع ليس فيه خير للقريب.

## ١٣- إهانة العلم وأهله:





قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨].

قال القرطبي: (لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء). هذا في الدين.

لكن لو جئنا إلى واقعنا في العالم العربي والإسلامي، لرأينا أن أهل العلوم في دركات المجتمع من الناحية المادية والمعيشية والكرامة.

كل ذلك دفع الناس للبحث عن مجال يجلب المال، لأن المال صار الأمر الناهي، وبالتالي فإن الفرد أمام خيارين:

إما أن تختار العلم والفقر أو ضيق الحال على أقل تقدير، وتختار تبعاً لذلك التأخر في تكوين الأسرة.

أو تختار أن تكون معزة بين باقي القطيع.

فما لم تتغير المنظومة تماماً، ويكون العالم والمعلم والمتعلم في المجتمع فوق الجميع فلا تتوقع أن ترى خيراً.

\*\*\*

## الباب الثالث

### الجهل الصناعي

#### علم الجهل:

الجهل أصبح علماً، اسمه ((علم الجهل)) أو علم هندسة الفهم، له نظريات وأسس واستراتيجيات وعلماء مختصون بتطبيقه على الشعوب.

فما هو هذا العلم؟

علم يدرّس من فئة معينة من الناس، ويدرّس لفئة معينة من الناس في أمريكا. ويطلق عليه: علم هندسة الفهم تلطيفاً له.

نشوء هذا العلم:

على مرّ الأزمنة تصارع السلاطين والساسة على حق امتلاك المعرفة ومصادر المعلومات، وذلك لأن المعرفة قوة كبرى تفوق المال والعتاد.

وهناك دوماً من يحاول التحكم بها أو نشرها وفقاً لما يخدم مصالحه وتوجهاته.

ومن أجل ذلك:

تأسس ما يسمى مجال إدارة الفهم، وذلك في الأوساط السياسية والأكاديمية.





## تعريف علم الجهل؟

تعتبر وزارة الدفاع الأمريكية أول من بدأ بنشر مفهوم إدارة الفهم، وقد عرفته بأنه: نشر معلومات أو حذف معلومات بهدف التأثير على فكر الجمهور للحصول على نتائج يستفيد منها أصحاب المصالح.

وعُرف أيضاً بأنه: هو العلم الذي يدرس صناعة ونشر الجهل بطرق علمية رصينة.

إن الدارس المتعمق في موضوع التجهيل وهندسة العقل وصناعة التقطيع يدرك أن شعار ((العلم للجميع)) لم يعد حقيقة، وأن هناك عالماً سرياً موازياً يُداول فيه علوم تم وسمها بخاتم علوم سرية، وأحد فروع هذه العلوم السرية هو علم صناعة الجهل.

## تاريخ علم الجهل:

بالرغم من أن هذا المصطلح ليس بالحديث، لكن بدأ تركيز الضوء عليه في السنوات الماضية، فقد ظهر ذلك المصطلح في ثمانينيات القرن الماضي، وكان السبب هو ظهوره مذكرة سرية تم الكشف عنها عام ١٩٧٩ قامت بصياغتها إحدى الشركات المنتجة للدخان عام ١٩٦٩. وذلك إبان تزايد الدعوات المناهضة للتدخين.

ذكرت شركة الدخان تلك في مذكرتها التي أطلقت عليها اسم ((مقترح التدخين والصحة)) أن أفضل طريقة لترويج السجائر هو خلق حالة من الشك بين جمهور المدخنين، وبذلك يمكن التغلب على المفاهيم الراسخة بالعقل والتي تؤكد ضرر التدخين.



وفعلًا أكدت المعطيات أن شركة التدخين قد نجحت في استراتيجيتها، والدليل أن جمهور المدخنين في تزايد مستمر، خاصة في العالم الثالث.

استراتيجية التجهيل: فرع من العلوم السرية التي كلما حاول أحد التنقيب عنها، قوبل بالكبت حتى لا يرتفع صوته.

هذا التسريب (المذكرة) أثار حفيظة روبرت بروكتور، الذي بدأ بالتحقيق والتحري عن سلوك شركات صناعة التبغ، وكيف تنشر الحيرة بين الناس. وتوصل إلى نتيجة مفادها:

أن شركة صناعة التبغ لا تريد للجمهور أن يعرف عن أضرار منتجاتها، وهي مستعدة لإنفاق الملايين لحجب الحقائق عن الأضرار الصحية للتدخين.

من يكمن وراء ذلك؟

الأطراف المستفيدة من كل ذلك هم رجال الاقتصاد والسياسة.

يقول روبرت: ((كنت أعكف على استكشاف كيفية نشر الشركات الكبيرة والقوية للجهل من أجل بيع منتجاتها، الجهل قوة كبيرة، ويتعلق ذلك المصطلح الجديد بإشاعة الجهل عن سبق إصرار)).

ثم يقول: ((وبدراسة ذلك، اكتشفت أسرار عالم العلوم السرية، وبتّ على قناعة بأنه يتوجب على المؤرخين إعطاء هذا الأمر اهتماماً أكبر)).



ويضيف: ((الجهل ليس فقط عدم علم المعرفة، ولكنه حيلة سياسية، واستراتيجية متعمّدة من قبل ذوي السلطة الذين يريدون لك ألا تعرف)).

كيف ينتشر الجهل حسب روبرت؟

يقول: ((الجهل يمكن نشره والترويج له تحت قناع الجدل والنقاش المتوازن)).

وبيان ذلك:

أنه عندما تكون هناك آراء متضاربة حول أمر أو منتج ما، فإن ذلك لن يفضي في النهاية إلى نتيجة عقلانية مجددة.

فهذا التوازن سمح لمصنعي التبغ بادعاء أن هناك وجهين لكل قضية، من خلال استخدام عبارة مثل: ((لا يتفق الخبراء حول هذا الرأي)) مما يخلق صورة مزيفة للحقيقة، وبالتالي انتشار الجهل.

ويقول أيضاً: ((نحن نعيش في عالم من الجهل المتطرف، ومن باب المعجزة أن تسمع الحقيقة في وسط هذا الضجيج... ثم يقول محذراً: حتى لو كان الوصول للمعرفة متاحاً، فذلك لا يعني أنه تم الوصول إليها بالفعل)).

كما توصل إلى أن الجهل ينتشر:

عندما لا يفهم كثير من الناس حقيقة ما أو فكرة ما.

وعندما تعمل جماعات المصالح الخاصة مثل شركة تجارية أو جماعة سياسية بجدّ لخلق حالة من الارتباك والحيرة إزاء قضية ما.



لذلك:

نتيجة لحالة البلبلة التي خلقتها شركات التبغ بين جمهور المدخنين، وزعزعة المفاهيم الراسخة عن الصحة وأضرار التدخين، نجد أن جمهور المدخنين يسمعون عن الأضرار ويستمررون في التدخين، إلى درجة أصبح التحذير المكتوب على علب السجائر والصورة البشعة المدعم بها لا قيمة له.

وما ذاك إلا بسبب حالة الشك المختلفة التي بدأت تتأصل في اللا واعي لدى الجمهور.

إذن من هنا نتوصل إلى:

أن الجهل ليس انعدام المعرفة، بل هو منتج يتم صناعته ونشره لأهداف معينة غالباً ما تكون سياسية أو تجارية.

ماذا يعني مصطلح العلاقات العامة؟

لتوزيع هذا الجهل بين طوائف المجتمع انبثقت الحاجة لمجال يسمى ((العلاقات العامة))، هذا المجال هو الصناعة التي تعتبر الابن

الأصيل للحكومة الأمريكية<sup>١</sup>.

فعن طريق لجان العلاقات العامة تم تضليل الرأي العام الأمريكي والزج به في الحرب العالمية سابقاً والحروب الأمريكية لاحقاً، وهو ما كان يعرف بـ لجنة الإعلام الأمني.

<sup>١</sup> على حدّ تعبير «نعوم تشومسكي».



هذا التضييل الممنهج بحسب أساسيات علم الجهل يستند إلى ثلاث قنوات:

الأولى: بثّ الخوف لدى الآخرين:

من خلال اللجوء: تارة إلى صنع أعداء وهميين، لتحشيد الرأي العام، وتارة إلى إرهاب الجمهور من المستقبل المظلم إن لم يخوضوا المعركة.

الثانية: إثارة الشكوك:

إن زعزعة الثوابت على اختلافها هي منتهى آمال مهندسي الجهل، ومديري الفهم، فهم لا يريدون من الفرد قناعات، بل يريدون منه أن يبقى في دائرة الشك.

وذلك من خلال ما يرمونه له من طعم وأفكار لزعزعة الثوابت، وبأساليب مختلفة: منها ما يسمى (التسريبات) التي لا تخرج إلا في أوقات محددة يكون الفرد فيها مهيناً لتشرّبها.

الثالثة: صناعة الحيرة:

إن من متبعات زعزعة الثوابت وإثارة الشكوك هو صناعة الحيرة، وهو الذي تجيده ما تسمى (البرامج الحوارية).

هذه البرامج التي تبدو بريئة في ظاهرها، وتهدف إلى التوعية وعرض الرأي والرأي الآخر، ما هي في الحقيقة إلا طعم لا يدري آكله بعد الانتهاء منه رأسه من قدميه، وإن كان عنده شيء من يقين تبخر.



### السبب:

أن كثرة المعلومات المتضاربة تجعل اتخاذ القرار المناسب صعباً،  
فيدخل الفرد في دوامة من الحيرة.

### النتيجة:

أن هذا الوضع يزيد من العبء النفسي والذهني على الفرد، فيقبل ما  
لا ينبغي القبول به، طمعاً في النجاة من هذه الدوامة، وهذه هي  
الغاية.

ويستنتج مما سبق: أن التجهيل يأتي أولاً، وإدارة الفهم تأتي ثانياً.  
وكمثال على ذلك: إسرائيل لما احتلت جنوب لبنان. والحرب الأمريكية  
لاحتلال العراق.

\*\*\*





## الباب الرابع: (هندسة العقل)

### علم هندسة العقل، أو التحكم بالعقل:

إن علم هندسة العقل هو علم يستهدف العقل الباطن الذي تُخزّن فيه المشاعر وخلجات النفس.

وقد تمت صياغة هذا المصطلح من قبل الفيلسوف فريدريك شيلنغ في القرن الثامن عشر.

يقوم هذا العلم على قواعد ودراسات قام بها علماء النفس والاجتماع، وعلماء الأعصاب أو ما يعرف بهندسة الأعصاب.

وكله بإشراف مؤسسات أمنية وعسكرية وسياسية، وذلك للسيطرة على العقول وقيادتها إلى الوجة التي يريدونها من يقوم بتطبيق هذا العلم، وغالباً ما تكون وراءها مكاسب سياسية أو مالية.

### نشأة علم هندسة العقل:

في حقبة الثلاثينيات من القرن الماضي شيّد النازيون العديد من معسكرات الاعتقال في ألمانيا، وأرسلوا إليها جميع من تم تصفيتهم كخطر على نظامهم القمعي، أو على نظرية نقاء العرق الآري الألماني.

اكتظت المعتقلات من بالمعارضين السياسيين واليهود والغجر والعاشرات ومثلي الجنس، كما أضيف إليهم ملايين من أسرى الحلفاء.





بعد انتهاء الحرب بهزيمة النازية عام ١٩٤٥ كشف الحلفاء المنتصرين عن الكثير من الجرائم البشعة التي اقترفت داخل السجون الألمانية. ومن تلك الجرائم:

التجارب والاختبارات التي أجراها العلماء والأطباء الألمان على السجناء والتي راح ضحيتها الآلاف.

وقد شملت هذه التجارب النازية مختلف المجالات العلمية والطبية:

- مثل دراسة آثار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية على البشر.
  - وتجربة عقاقير مختلفة الأغراض على السجناء لاختبار مفعولها، وكذلك دراسات حول الوراثة.
  - كما أجريت تجارب انصبت على دراسة سلوك الإنسان، ومحاولة تطوير طرق وأساليب تساهم في السيطرة عليه، وتحويله إلى أداة مطيعة يمكن الاستفادة منها في عمليات تخدم النظام النازي.
- استطاع الحلفاء الوصول إلى هؤلاء العلماء الألمان، والتفاوض معهم سراً، وتخييرهم بين أمرين:

الأول: تقديمهم للمحاكمة كمجرمي حرب.

الثاني: إسقاط جميع التهم الموجهة إليهم، والتوقف عن ملاحقتهم مقابل الاستفادة من خبراتهم في خدمة الدول التي تحتجزهم.

وبالطبع اختاروا الخيار الثاني.. فنقلوا إلى مختبرات ومعامل وأبحاث جديدة في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق وبريطانيا



وفرنسا، وتمت الاستفادة من خبراتهم في مختلف المجالات العلمية.

مجموعة من هؤلاء العلماء الألمان الذين نقلوا إلى سرّاً إلى الولايات المتحدة كان لهم باع طويل في مجال البحث عن أنجع السبل لحمل الجواسيس وأسرى العدو على الاعتراف بمعلومات مهمة وحيوية، وذلك عن طريق ممارسة أساليب التعذيب الجسدية والنفسية المختلفة عليهم.

وطرق غسل الدماغ والسيطرة على عقول الأشخاص بهدف تجنيدهم والاستفادة منهم.

وبما أن هذه الدراسات والأبحاث تدخل مباشرة ضمن نطاق عمل الأجهزة الأمنية المكلفة بجمع المعلومات عن العدو، لذلك قامت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) باحتضان هؤلاء العلماء للاستفادة من خبراتهم.

وأصبحوا فيما بعد اللبنة الأولى لمشروع سري ضخم تم تأسيسه خلال عقد الأربعينيات من القرن الماضي تحت اسم ((إم كي ألترا)) كان الهدف الرئيس منه: دراسة العقل البشري والبحث عن أفضل الأساليب لتطويعه والسيطرة عليه.

وتم تسخير مختلف الإمكانيات الكيميائية والبيولوجية والإشعاعية لغرض تحقيق الأهداف السابقة، وخصصت ملايين الدولارات من أجل الأبحاث المتعلقة بها.

**أنواع من العقاقير التي تم اختراعها للتحكم بالأشخاص**





## وعقولهم

- عقاقير لتعزيز التفكير غير المنطقي لدى المتلقي.	- عقاقير تسبب من الشعور بالتعب والهلوسة البصرية والسمعية لدى المتلقي.
- عقاقير تجعل عملية التنويم المغناطيسي أسهل.	- اختراع كبسولة يمكن للمتلقي أن يتناولها عن طريق الماء مثلاً تؤدي إلى فقدان مؤقت للذاكرة.
- عقاقير تعزز القدرة على تحمل التعذيب والضغط النفسي.	- عقاقير تؤدي تناولها إلى عدم قدرة المتلقي على القيام بأي مجهود بدني.
- عقاقير تسبب فقدان الذاكرة بعد القيام بمهام معينة.	- عقاقير قادرة على إيقاف التأثير المسكر الناتج عن تناول الكحول.
- عقاقير تغير تركيبة الشخصية (العواطف والأحاسيس والشعور).	- عقاقير تولد أعراضاً كاذبة مشابهة لأعراض بعض الأمراض المعروفة.
- عقاقير تسبب تشوشاً ذهنياً للمتلقي، فيعجز عن الاستمرار في التصنع.	

ولا بد من التنبيه على أمرين:

الأول: أن تشومسكي تحدث في كتابه ((أسلحة صامته لحروب هادئة)) عن وثيقة سرية للتحكم بالشعوب التي ظهرت إلى العلن عام ١٩٧٩ بعد حوالي عقد من إنتاجها، وكانت على غرار (بروتوكولات





حكماء صهيون) مما دفع كثيرين إلى القول بأن منتج الوثيقتين جهة واحدة.

الثاني: ضرورة ربط تلك الاستراتيجيات بشكل عام بتحكم السلطة في العالم العربي والإسلامي بشعوبها.

### أسلحة صامته لحروب هادئة:

كل ما يتوقع من الأسلحة التقليدية سيكون متوقعاً كذلك من الأسلحة الصامته، ولن تختلف عنها إلا بالأداء الوظيفي.

#### الأسلحة الصامته:

- تطلق وتحدد المواقف بدلاً من إطلاق الرصاص.
- تقوم بمعالجة المعلومات بدلاً من التفاعلات الكيميائية.
- تستخدم الحاسوب بدلاً من البندقية.
- يتحكم بها مبرمج الحاسوب بدلاً من المسلح.
- تخضع للأوامر المصرفية بدلاً من العسكرية.

عندما يطبق نظام الأسلحة الصامته تدريجياً سيتكيف الشعب مع وجوده، ولن يشعر حقيقة بالتعدي الذي يمارسه هذا السلاح على حياته إلى أن يصل الضغط النفسي إلى الحد الذي يؤدي إلى انهيار هذا الشعب.

هندسة العقول أو صناعة الرأي العام: عملية بالغة التعقيد، متعددة الوسائل، متنوعة الأساليب، متشعبة الغايات.

ما هي أساليبها؟



تعتمد أساليب تتراوح بين الصدمة والترويع، وبين أخرى ناعمة قد تكون هي الأخطر أو الجمع بينهما.  
ويختلف ذلك باختلاف المسارح والأزمات والضحايا والأهداف الاستراتيجية، كما تتفاوت درجات الصدمة أو الخداع بتفاوت جهاز المناعة المجتمعي والحضاري لكل أمة مستهدفة.

#### مثالها:

يكفيك لمعرفة ذلك أن تعلم: أن عملاً أدبياً يمكن أن توظفه وكالة الاستخبارات لتحوّله إلى سلاح دعائي بقصد التقويض والزعزعة، كما حدث في استخدام رواية الشاعر الروسي بوريس باسترناك كأداة لخلق رأي عام وهندسة عقول، وذلك بقصد تقويض الاتحاد السوفيتي إبان الحرب الباردة.

#### ومثل ذلك أيضاً:

الحروب غير المتوازية في أوج زمن الجيل الرابع، والتي وصفها خبير الاستراتيجيات العسكرية ماكس مانوارينغ:

- أنها حرب إكراه وإخضاع للعدو على القبول بإرادتك دون اعتماد الاستراتيجيات التقليدية، بل باستخدام الحرب النفسية والإشاعة





ووسائل التضليل وصناعة الرأي وزرع الفوضى من أجل زعزعة الاستقرار.

- خلق مناخ مناسب أو تأجيج بؤر توتر ما، بالاعتماد على ما يشبه الطابور الخامس، كخط هجوم أولي نحو اختراق الزعزعة، أو التقويض، مضيئاً نحو حالة فوضى، فخلق دول فاشلة، ومناطق خارج نفوذ السلطة المركزية، ما يشرع بعدها التدخل أو الوصاية بالوكالة.

ولا يحتاج لبيان أنهم في التدخل لا تعوزهم الحجج، متى قرر أصحاب الحق الحصريون ذلك، تحت شعار التدخل الإنساني، والذي أطلقوا عليه واجب الحماية (R2P) الذي جربوه في ليبيا. واليوم يخرجون علينا ما يسمونه عقيدة واجب القصف (R2A) ينتظرون تجريبها في بلد ما.

ما نريد قوله:

إذا كان هذا قد تم وفي الظروف التي نعلم، وبالوسائل التي نعلم ولا نعلم، فللمرء أن يتخيل ما يتعرض له أبناء هذه الأمة من اغتصاب لعقولهم وهندسة لآرائهم.

ويحق لنا أن نتساءل:

هل أحصى أحد -مثلاً- عدد هيئات وجمعيات ومنظمات ما يسمى ((Stay behind)) ما يعرف منها، وما فرّخ مع الربيع العربي.

شبكات التدخل الأمريكي الناعم، والمرتبطة في معظمها بوكالات الاستخبارات تحمل شعارات لا تخفى دلالاتها: اقنع - غير - أثر، ولإنجازها هناك فرق متعددة ك:

- فرق الحرب النفسية وهندسة الخارطة الإدراكية من خلال استهداف المنظومة القيمية (الصحف - الإذاعات - الإشاعات..).
- فرق الحرب السياسية (دعم الحركات التي ستقوم بحروب الوكالة، دعم التنظيمات في المنفى، دعم التنظيمات المناهضة، تشجيع حركات الانفصال...).
- فرق الحرب الاقتصادية (منع توفر الحاجيات الضرورية، التحكم في السوق، السوق السوداء، التحكم في صرف العملة والتزوير...).
- فرق العمليات الوقائية (مساعدة الانفصاليين، التخريب، التدمير وحق الذاكرة الوطنية، اللعب بجينات الوحدة الوطنية...).
- فرق متعددة الخصائص (فرق الاغتيالات، وعمليات إخلال التوازن السياسي أو الاغتيالات وما شابه).

\*\*\*



## أهم الاستراتيجيات المستخدمة في هندسة العقول والتحكم بالشعوب

### ١- استراتيجية الإغراق:

تقوم على إغراق المجتمع بالاحتفالات والمناسبات القومية والوطنية التي تسبب حالة من النسيان، ومن التخدير مما يعاينه المجتمع من واقع مؤلم أو مشاكل اجتماعية أو اقتصادية.

يتم -في الاحتفالات- عرض صور الحاكم بشكل متلازم مع الأغاني والأهازيج الوطنية التي ترسخ في النهاية قاعدة: ربط الحاكم بالوطن أو ربط الحزب بالوطن. وهو ما فعله فرعون.

### ٢- استراتيجية صناعة القائد الملهم:

تقوم على صناعة القصص، ونسج الأساطير -حول القائد الملهم- والتي تظهر علمه وفهمه وبعده نظره وشجاعته وبراعته وحيويته وحنكته وحكمته...

لتجعل منه رمزاً ترتبط به الجماهير وتتعلق به:

إما من باب الخوف، أو من باب الإعجاب: فهو الرياضي البارع، والكاتب الأديب، والمفكر العملاق، والعابد الخاشع...

وما ينبغي تجاهل دوره التاريخي وما قام به من إصلاحات....

### ٣- استراتيجية الشراء:

تقوم على سياسة شراء الذمم للنخب والأفراد التي قد تهدد النظام الذي يطبق فيه برنامج هندسة العقول.

طريقة الشراء تكون بالإغراءات السياسية، والامتيازات المالية، مع التمكين الإعلامي، لتتحول هذه النخب إلى بطانة فاسدة لهذا النظام، فتقوم بدعمه لتثبيت بقائه بكل الوسائل الممكنة.

### ٤- استراتيجية خلق المشاكل وإيجاد الحلول:

تطبّق هذه الاستراتيجية عندما تريد السلطة تمرير بعض القرارات المعينة، والتي لا تحظى بالقبول الشعبي إلا في حضور الأزمة التي قد تجعل الناس أنفسهم يطالبون باتخاذ تلك القرارات لحل الأزمة.

وتعرف بطريقة: [المشكلة - ردّ الفعل - الحل] ويكون ذلك:

من خلال اختلاق موقف أو مشكلة تُحدث ردة فعل، كالسماح

بانتشار العنف والتخريب في منطقة ما<sup>٢</sup>، مما يجعل الجمهور هو الذي يطالب السلطة باتخاذ إجراءات وقوانين وسياسات تحدّ من حريته ومن حقوقه، باعتبار ذلك الحل شرّاً لا بد منه.

<sup>٢</sup> كالتفجيرات التي كان يقوم فيها النظام قبل الثورة.



## ٥- استراتيجية التفعيل العاطفي:

وهي استراتيجية كلاسيكية تستعمل لتعطيل التحليل المنطقي والحس النقدي، وذلك من خلال التركيز على العاطفة في قلب المجتمع وإغراقه فيها، وفق برامج تعليمية وإعلامية وفنية ممنهجة، مما يمكّن مطبقي البرنامج هندسة العقول من الدخول لداخل العقل الباطن لهذا المجتمع، وغرس ما يريدون من الأفكار والمخاوف والقلق والحالات النفسية الروحية، وكل ذلك وفق ما يخدم الهدف المنشود.

ومن أدوات هذه الاستراتيجية: الفن والغناء والتمثيل...

## ٦- استراتيجية التجهيل:

تقوم على أن يكون التعليم في المجتمع المطبق فيه برنامج هندسة العقول على قسمين:

تعليم رديء ومتخلف بكل آلياته موجه لطبقة الشعوب.

وتعليم عالي الجودة يقدم لأبناء النخبة والطبقات الحاكمة، التي يراد لها في يوم من الأيام أن تكون حاكمة.

والهدف من ذلك: خلق فجوة عميقة بين طبقات المجتمع.

## ٧- استراتيجية الشعور الذاتي بالذنب أو تحول الضحية إلى جاني:

تقوم على إدخال الشعور الذاتي بالذنب للشعب المستهدف من قبل القائم به بطرق كثيرة منها:





الإعلام والتعليم والخطاب الديني، والأدبي، والفكري، الموجه لهذا للشعب المستهدف، ليجعل في نهاية الأمر كل فرد من أفراد الشعب يشعر في قرارة نفسه بشعور ذاتي بالذنب، بأنه هو السبب في تعاسته وفقره وسوء حظه وقصوره وضعفه، وليس النظام أو السلطة التي تهندس ذلك بطريقة خبيثة ماكرة.

النتيجة: أن هذا الفرد يأتيه شعور بالتدني الذاتي الذي يؤدي به إلى حالة من الإحباط والاكتئاب، فيقبل على أقل تقدير بوضعه الحالي، ويستسلم له، وربما -ليخرج من هذه الحالة- يلجأ إلى أن يصبح إنساناً تافهاً.

#### ٨- استراتيجيات الاغتصاب الجنسي:

تقوم على إغراق المجتمع ببحر من الموضوعات الجنسية والانحدار الأخلاقي والعلاقات المحرمة والشاذة في كل نواحيها، وتقديم من يقوم بذلك على أنه متحرر وصاحب فكر ويفكر خارج الصندوق.

ويسخر لذلك وسائل الإعلام على اختلافها، والهدف من رواء ذلك: أن ينغمس الشعب في هذا البحر، ويغيب العقل، ويصبح الإنسان عبارة عن حيوان شهواني.

#### ٩- استراتيجيات التزوير التاريخي:

تعتبر أخطر ما قد يمر على التاريخ الإنساني، وتنطلق من قاعدة تقول: المنتصر هو من يكتب التاريخ، فتقوم على تزوير التاريخ.



الوسائل: يتم ذلك عن طريق عملاء وخدم يكتبون التاريخ بطريقة مزورة لخدمة القائد الملهم أو المؤسس القومي، أو المؤسس الحزبي.

كل ذلك يقدم للأجيال بخطط محكمة ومدروسة، ووفق برامج ومقررات ممنهجة مأكرة. بهدف تعظيم القائد أو الحزب أو الدولة.

### ١- استراتيجية النظام الطبقي:

تقوم على تعزيز وتقوية النظام الطبقي في الدولة أو الجماعة التي يطبق فيها هذا البرنامج، مستعينة بالإعلام بكل مفرداته.

وتغرس هذه الاستراتيجية في نفس وعقل المستهدف فكرة: أن الناس طبقات، وأن الإنسان الأقل طبقة لا يستطيع نفسياً ولا مادياً أو فكرياً أن يواجه من هو أعلى منه طبقياً.

وهي نفس الاستراتيجية التي طبقها فرعون الذي جعل بني إسرائيل شيعاً.

### ١١- استراتيجية القولية والتصوير:

تقوم على صناعة قوالب معينة تحدها الدولة أو السلطة أو الفرعون الذي يطبق برنامج هندسة العقول، وهي عبارة عن قوالب جاهزة لها صفات وشروط محددة يضعها أصحاب هذا المشروع، ويتم تنزيل هذه القوالب على الأفراد أو الجماعات والأحزاب.



والذي تنطبق عليه الشروط والمواصفات هو الذي يعرف عندهم بالمواطن الصالح، وأما من يخالف الشروط فهو المواطن الفاسد، والذي يتوجب محاربته بشتى الوسائل كرميه بالعمالة أو غيره.

## ١٢- استراتيجية التخويف والترهيب:

وتعتبر استراتيجية عالمية، وأما ما يسمى ديمقراطية العالم المتحضر ما هو إلا كذبة كبرى خدعت بها الشعوب نظراً لاختلاف أشكال وأساليب هذه الاستراتيجية.

تعتمد على تطبيق نظرية الاقتران الشرطي: التي جاء بها عالم الأعضاء الروسي ((ايفان بافلوف)) والتي أوصلته فيما بعد إلى صياغة نظريته الشهيرة في علم النفس: فقد ربطت النظرية ما بين سيلان لعاب الكلب وتقديم الطعام له، ثم ربطت تقديم الطعام بقرع الجرس، ومع التكرار صار اللعاب يسيل بمجرد قرع الجرس رغم عدم وجود الطعام.

واستناداً إلى هذه الاستراتيجية: قد ربط -من يريدون تطبيقها- بين العقاب وبين أي حركة أو سكرة أو سلوك يمكن أن ينتقد أو ينال من السلطة أو ديكتاتوريتها.

حتى يترسخ عند الناس وفي وعيهم ولا وعيهم أن أي تمرد أو مطالبة بتغيير يعني السجن والتعذيب والفقر والحرمان...



### ١٣- استراتيجية التشويه والشيطنة:

تقوم على تشويه أي شخص وأي رمز يكون مصدر قلق أو خطر للسلطة التي تنفذ المشروع.

ويكون التشويه بشكل منظم ومستمر ومنهجي، وتوظف له كل الإمكانيات سواء بالهجوم على الرمز نفسه، أو على أفكاره، وإلصاق التهم به.

وكل رمز تلصق به تهمة تناسب اختصاصه ومكانته، فالسياسي تلصق به تهمة سياسية وهكذا...

وهي استراتيجية استعملها فرعون مع موسى عندما قال:

{ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ } [غافر: ٢٦].

### ١٤- استراتيجية صناعة البالونات:

البالونات هنا: هي الرموز أو الأيقونات على اختلافها، طبيعية أو اعتبارية، سياسية أو دينية أو قومية...

والتي يتم صنعها ضمن الجماعة أو الشعب المستهدف، ويتم إحاطتها بهالة من القداسة، ويتم ذلك بطريقتين:

الأولى: تكون عن طريق الضغط المفتعل على هذا الرمز، حيث يؤسس له في أذهان الناس مظلوميته والتي ستفسر تفسيرات متعددة تصب في النهاية في صالح تكوينه كرمز.



الثانية: عن طريق تسخير الإعلام على اختلافه.

هذه البالونات يقف وراء صناعتها هدفان رئيسان:

الأول: أن تكون أداة طيعة بيد السلطة من أجل تأكيد وتعزيز سيطرتها على الدولة أو الجماعة المستهدفة بشكل مباشر أو غير مباشر.

الثاني: أن تكون بالوناً تحت الطلب، يتم تفجيره وفقاً للحاجة أو في مواجهة أي تهديد حقيقي أو طارئٍ خطير يمسّ بمصلحة السلطة.

وطبعاً: هذه الأيقونات والرموز التي تتبعها الجماهير كالأغنام، هي ذاتها وفقت مع الأنظمة الحاكمة ضد حركات الربيع العربي في منطقتنا العربية والإسلامية.

## ١٥- استراتيجية التخدير الديني:

تقوم على توظيف الدين، مستخدمة في ذلك وعاظ السلاطين في عملية الاستحمار والتبرير والتوطين للحاكم، ولا سيما الدول أو المجتمعات التي ما زالت محتفظة بدينها وعقيدها، وما زال الشعور الديني موجهاً ومحركاً لها.

آلية ذلك:

تقوم طبقة رجال الدين المأجورة بتخدير العقول وإشغالها عن المشكلات الحقيقية والظلم السياسي وسرقة ثرواتها وصرافها عن فعل كل ما من شأنه أن يزعج السلطة، وذلك من خلال نشر وبث:

أن الدنيا فانية، وأنها دار ابتلاء.



عدم جواز الخروج على الحاكم كونه يقيم أمر الدين.  
إضفاء القداسة على أقوال وقصص ما أنزل الله بها من سلطان  
توظيفها وفق الحاجة الطارئة.  
إغراق الشعب بتفاصيل وآراء ومسائل دينية لا تسمن ولا تغني من  
جوع، في وقت أشد ما يحتاجه الشعب هو الحرية والكرامة والعدل.  
والهدف من كل ذلك: صرف الناس عن الظلم الكبير للطغاة.

#### ١٦- استراتيجيات الشائعات الموسمية الكاذبة:

ومعظم هذه الشائعات وعود كاذبة تصب في باب الإصلاحات،  
وتغيير حياة المواطن للأفضل، لتعيش الشعوب بالأمل الكاذب،  
وتصيبه بحالة من التخدير والاسترخاء والصبر ولو مؤقتاً على الواقع  
المرير ريثما ينتهي مفعولها.

#### ١٧- استراتيجيات التضليل الإعلامي ((أو البروبوغاندا)):

تقوم على تضليل الشعوب والمجتمعات من خلال الإعلام، وذلك  
بالتحكم والسيطرة على الخبر، ومحاولة التلاعب فيه، وذلك بتقديم  
المعلومات في وسائل الإعلام للمتلقي وفق صور وأساليب ممنهجة  
ومدروسة بخبث ومكر، استناداً على دراسات نفسية واجتماعية بغية  
تضليل المشاهد عن المعلومة الحقيقية.

## الأساليب المستخدمة من أجل التضليل الإعلامي

<ul style="list-style-type: none"> <li>- القراءة المخادعة للإحصائيات واستطلاعات الرأي.</li> <li>- تغيير مضمون الصورة.</li> <li>- الحوار المشوه بالتركيز على التفاصيل الهامشية.</li> <li>- تكرار الفكرة الخاطئة وترسيخها.</li> <li>- التهوين والتقليل من شأن بعض المعلومات.</li> <li>- تمييع القضايا الجوهرية.</li> <li>- التركيز على التفعيل العاطفي بدل الإقناع.</li> <li>- توظيف الطرفة للتأثير في الرأي العام</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- الانتقائية المتحيزة بالتركيز على حقيقة، واستبعاد أخرى مرتبطة بها.</li> <li>- التلاعب بالمعلومات وترتيب الحقائق.</li> <li>- إهمال خلفية الأحداث، أو وصفها بصورة مختلفة.</li> <li>- الخلط بين الخبر والرأي والتحليل والتعليق.</li> <li>- التضليل بالمعلومات التي ليس لها علاقة بالحدث.</li> <li>- الإيهام والتدليس في المصادر والمعلومات.</li> <li>- إغراق الجمهور بمعلومات لا تهمه.</li> </ul>
---	--



## ١٨- استراتيجية خلق الأزمات باستمرار:

تقوم على مبدأ: اجعله مشغولاً دوماً، وأعمى بصره وبصيرته.

## ١٩- استراتيجية التتفيه:

من خلالها يقوم الإعلام بأنواعه: بالترويج لـ "اللا قيمة" والعبثية عبر المجلات والمسلسلات، وبرامج المسابقات والفوازير وصناعة النجوم وأجمل صوت أو كلب ...

كل ذلك في سبيل إشغال الناس عن القضايا الحقيقية وما تعانيه، حتى صارت البلاد التي لم تشبع من الخبز تحتفل باقتراب نجومها من التصفيات.

## ٢٠- استراتيجية خلق واستنساخ الفراغة باستمرار:

تقوم بها الدول الكبرى أو ما يسمى الدول الخفية التي تحكم العالم، وتطبق تحديداً في دول العالم الثالث، وذلك باستنساخ مستمر لشخص الفرعون بأشكال جديدة.

والهدف: من أجل أن تحكم هذه الشعوب، كي تبقى متخلفة عن ركب الحضارة.

بمعنى آخر: من أجل منعها من اتباع إله موسى الذي هو الحق والعدل، ومنع أي محاولة لقتل هذه الفرعون: إما بتوفير الدعم الكامل له، أو باستبداله بفرعون أدهى وألعن، ليكون الشعب الذي قتل الفرعون عبرة للشعوب الأخرى.



ومن لعنة هذه الاستراتيجية:

أنها كثيراً ما تكون متكررة تلقائياً، ولا يحتاج فيها الفرعون الأكبر للقيام بصناعة الفراغة باستمرار، لأن الفرعون الأصغر يتولى بذاته استنساخ الفراغة.

## ٢١- استراتيجية خلق الإنسان اللامبالي:

يتم ذلك عن طريق الصدمات: سياسية وأحداث وقتل وغيره، وعن طريق الأزمات المتتالية صدمة تلو الأخرى، وأزمة تلو الأزمة، وضائقة تلو ضائقة، ومع توالي هذه الصدمات يحدث للعقل في النهاية أن ينهار، لعدم قدرته على استيعاب وتحمل ما يجري حوله، وبعد مرحلة الانهيار يصل إلى مرحلة اللامبالاة.

## ٢٢- استراتيجية الانسلاخ من خلال الغرائز البشرية:

تقوم -كما يرى ويلسون براين كي- على الإخفاء المتعمد لرموز مقصودة يتم إدراكها من قبل المشاهد بشكل لا شعوري، وهو أحد أنواع الإخفاء الذي يتم استخدامه لغزو الأعصاب منطقة اللاوعي عند المتلقي، ولا يتم إدراجها بشكل مرئي في الإعلان، بل تُدرج بشكل خفي، لكي تتمكن منطقة اللاشعور الحساسة للجنس من إدراكه بقوة.



### ٢٣- استراتيجية البقرة الحلوب:

البقرة الحلوب: هي الشعارات الكبرى والقضايا المصطنعة التي تمتص الحكومات من خلالها خيارات الشعوب وآمالها ومستقبلها، وتستخدمها كالشماعة تعلق عليها كل ما يعانيه المواطن من تخلف أو تضيق للحريات ونهب للثروات.

ولعل أكبر بقرة حلوب اخترعتها الحكومات في منطقتنا العربية هي الحق الفلسطيني، يليها مصطلح المقاومة والممانعة في وجه إسرائيل والدول الرأسمالية....

فتحت هذه الشعارات:

سُرقت الحريات والخيرات، وُيتمت الشعوب، وفرضت قوانين الطوارئ لعشرات السنين، ورمي كل من له رأي يخالف السلطة في السجون تحت تهمة معاداة المقاومة ووهن روح الأمة والعمالة لإسرائيل.

### ٢٤- استراتيجية الفناء في الوطن ولأجل الوطن:

تقوم على غرس أن الوطن غال والوطن عزيز.

والحقيقة التي كشفتها الأيام: أنهم هم الوطن، وأن كل ما قيل عن الوطن خديعة وهراء وكلاماً فارغاً، ضحكوا به على الشعوب، واستغلوا به الشعب باسم الوطن والوطنية. فتمت المتاجرات، وارتكبت الجرائم باسم الوطن، والوطن منها بريء.



## ٢٥- استراتيجية مخاطبة الرأي العام للأطفال:

تقول هذه الاستراتيجية: إنه إذا تم التوجه إلى شخص ما، كما أنه لم يتجاوز بعد الثانية عشرة من عمره فإنه يتم الإيحاء له بأنه فعلاً كذلك، وبسبب قابليته للتأثر من المحتمل إذن أن تكون إجابته التلقائية أو رد فعله مفرغة من أي حس نقدي، كما لو أنه صادر فعلاً عن طفل ذي اثني عشرة سنة.

وهذا ما تفعله الحكومات في الوطن العربي: يتم التعامل مع الشعوب على أنها قاصرة لم تبلغ الحلم بعد، وأنها لا تعرف ما يضرها وما ينفعها.

## ٢٦- استراتيجية صناعة الأمجاد الكاذبة:

يتولى القيام بها الإعلام بالدرجة الأولى، عن طريق تضخيم بعض الأعمال والإبداعات، أو من خلال صناعة أمجاد وإبداعات ليس لها وجود أصلاً، وتصوير الأمة على أنها الشعب المختار والأمة الزاهرة التي هزت أركان العدو...

## ٢٧- استراتيجية صناعة الظلام وزخم الصورة القاتمة:

يتم ذلك من خلال رسم صورة قاتمة عن واقع أو مستقبل الأمة المستهدفة من خلال تسريبات مفتعلة وتناقضات عجيبة لا تنتهي، ليبقى هذا المستهدف يراوح مكانه، وأنه لا ضوء في نهاية النفق،



وليصبح جل اهتمامه المحافظة على الواقع الذي هو فيه، والذي هو بالأصل واقع محزن وقاتم.

## ٢٨- استراتيجية ضبابية المشهد:

تقوم على تقديم حقائق غير مكتملة، ويكون هناك دائماً حقائق مخفية وحلقة مفقودة.

وكل ذلك في سبيل تأخير حركة الشعب ونموه، بغض النظر عن هذه الضبابية ومجالها، سواء أكانت ضبابية سياسية أو اجتماعية أو... المهم أن يبقى المستهدفون يعيشون ضمن هذا الضباب.

## ٢٩- استراتيجية معرفة الأشخاص أكثر مما يعرفون أنفسهم:

تعتمد على التقدم العلمي المتسارع، والذي أدى بدوره إلى توسيع الفجوة بين المعرفة العامة والمعرفة التي تمتلكها النخب الحاكمة، فبفضل علوم الأحياء والأعصاب وعلم النفس التطبيقي تمكن النظام من معرفة الكائن البشري جسدياً ونفسياً.

فالنظام يستطيع معرفة الشخص العادي بشكل أفضل مما يعرف هو نفسه.



### ٣٠- استراتيجية التدرج:

تعتمد على تقديم إيديولوجيات السلطة أو أهدافها أو قراراتها لا سيما فيما يتعلق بتضييق الحريات، والتدخل في الحياة الخاصة للفرد، أو فيما يتعلق بسرقة أمواله، بجرعات مجزئة كي لا ينتفض منها جسد المجتمع، وبالتالي يتشربها رويداً رويداً إلى أن تجري منه مجرى الدم وهو لا يشعر بها.

### ٣١- استراتيجية التأجيل:

تقوم على تأجيل الحلول باستمرار مما يجعل الشارع يصل إلى درجة يطمح فيها بأي حل من الحلول يمكن أن ينقذه، ويمكن أن يفسح المجال لحل ولو كان هذا الحل غير مرضي.

### ٣٢- استراتيجية الكذب:

تنطلق من مقولة: الكذب الكذب ثم الكذب حتى يصدقك الناس. الكذب يكون إما لترسيخ واقع مراد، أو لإنكار واقع موجود، كما حصل في سوريا التي قامت فيها حركات المطالبة بالحرية، والتي ووجهت بالكذب قبل الحديد والنار.

### ٣٣- استراتيجية تحسين العمل القبيح، والتشجيع على استحسان الرداءة:

جوهرها: هو الإفساد بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وتكون من خلال تحسين العمل والفكر القبيح على اختلافه، عبر تكراره ونشره



وتأمين تكاثره ونجاحه ليلاً نهاراً، بشتى السبل إلى أن يصبح مألوفاً مقبولاً كسلوك حياتي، بل يصبح النشاز على اختلافه هو الأصل، وتصبح الأصالة هي النشاز.

### ٣٤- استراتيجية الصدمة:

تقوم على إحداث الصدمات تلو الأخرى، مرة اقتصادية، ومرة عسكرية، ومرة سياسية... وبالتالي حصر الجمهور في زاوية ضيقة يصبح جل همه فيها أن يرى نافذة وبصيص أمل من أجل إخماد هذه الصدمة، وعودة الحياة إلى ما كانت عليه.

### ٣٥- استراتيجية خلق اهتمامات بعيدة عن متطلبات الواقع:

تقول هذه الاستراتيجية: لتبقى في السلطة ويدوم الملك، اعمل باستمرار على خلق اهتمامات متجددة لشعبك، تكون بعيدة عن الواقع الذي يعيشه، وعن متطلبات هذا الواقع.

ونجحت هذه الاستراتيجية:

ففي الوقت الذي يكون فيه الحاكم يسرق الأموال، فإن الشعب يتسابق للتصويت لملكة الجمال.

### ٣٦- استراتيجيات الإلهاء:

تقول هذه الاستراتيجية: حافظوا على تحويل انتباه الرأي العام بعيداً عن المشاكل الاجتماعية الحقيقية، وألهوه بمسائل تافهة لا أهمية لها، وأبقوا الجمهور مشغولاً دون أن يكون لديه أي وقت للتفكير. وتتضمن: منع العامة من الاطلاع والمعرفة الأساسية بمجالات العلوم والاقتصاد وعلم النفس وغيرها.

### ٣٧- استراتيجية التآطير والوضع أمام خيارين:

تقوم على إبراز جوانب من القصة أو الحدث والتركيز عليها وإغفال أو تجاهل أو طمس أجزاء أخرى منها ليقيدوا المواطن المسكين في الزاوية والوصف الذي يريدونه، وفق ما يخدم رؤية وأهداف السلطة. ففي سوريا مثلاً تم اختصار دمار بلد بأكمله في إطار (كله بسبب دعوات الحرية..). وتم إغفال الجزء الباقي من المأساة، وهي الجرائم التي فُعلت قبل ذلك. ومن التآطير أيضاً أن توضع بين خيارين أحلاهما مرّ: إما الخبز وإما الكرامة وهكذا..



### ٣٨- استراتيجية تحقيق قدرة الفرد:

تعتمد على زرع فكرة أنك كفرد لا تملك أي تأثير، وتقوم منهجيتها على تحقيق الأثر الفردي، والتقليل من أهميته، لإيقاف أي محاولة أو تفكير بمحاولة حمل الإبرة في وجه جدار السجن للحفر فيه، مما يؤدي لقتل جميع المبادرات الفردية للتغيير والخلص.

ويتبع ذلك: المنجزات العظيمة التي يقوم بها الأفراد بغض النظر عن هذه المنجزات ومجالها، فلا يهتم بها، ولا يلقى لها بالاً.

### ٣٩- استراتيجية إلغاء الحاجة الأساسية للجماعة:

تقوم على تعزيز إلغاء الحاجة الأساسية للجماعة بالشكل المتعارف عليه في علم الاجتماع، مع تدعيم فكرة تغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة مهما أدى ذلك لضرر بالمجتمع، فأنت أهم إنسان في حياتك، وما حاجتك للمجتمع إلا بالقدر الذي يخدم مصالحك الشخصية.

### ٤٠- استراتيجية التعقيم:

تطبق بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بالحقوق والحريات.

وذلك بجعل كل الدعوات لذلك تنتهي بالفشل أو الألم، أو صنع دعوات وهمية لذلك، وإنهاؤها بالفشل أو الفظائع؛ لتصبح أي دعوة حقيقية للتغيير مرفوضة من قبل الجمهور نظراً للتعقيم الذي سيجريه على التجارب السابقة.



أو باستيراد صورة بأئسة من الخارج، وإسقاطها على الواقع وما يراد من تغيير فيه.

فمثلاً:

أي محاولة للمطالبة بتغيير الحكومة تقابل فوراً بصورة جاهزة من محاولات أخرى باءت بالفشل، وكانت نهايتها فراغاً سياسياً وفوضى اجتماعية.

#### ٤١- استراتيجية تعزيز الوضع الراهن:

تعزيز الوضع الراهن يكون بطرق متنوعة، منها مثلاً الترفيه.

ففي هذه الاستراتيجية لا يبقى الترفيه عبارة عن مجال للترويح عن الذات، بل يصبح قيمة بحد ذاته، وأداة للتسويق لبلادة الذهن، وإيقاف وتحييد التفكير، وللاستهلاك.

كما يجري تعزيز الوضع الراهن تحت شعارات مثل: ليس بالإمكان أفضل مما كان، نحن نعيش في ألف نعمة وهكذا...

#### ٤٢- استراتيجية الكاريزما والخطابة:

تقوم على حكم واغتصاب البلد أو الجماعة المستهدفة من خلال الكاريزما وقوة الخطابة اللتين يتمتع بهما هذا الحاكم.

فلطالما كانت قوة الخطابة التي يتميز بها الكثير من القادة والشخصيات السياسية قادرة على تخدير الشعوب وتجييش ولحس عقول الجماهير.





### ٤٣- استراتيجية المراقبة الذاتية:

تقوم على أن يكون الفرد رقيب ذاته كي لا يأتي بأي حركة أو تصرف أو قول لا ترضاه السلطة الحاكمة.

والمراقبة الذاتية تأتي تبعاً لمرحلة ممنهجة تقوم فيها السلطة بشراء وزرع مخبريها وعيونها في كل زاوية وركن من الوطن، وتقوم بإذاعة الويلات لكل من يشرد أو يفكر بالشroud عن القطيع.

وينتهي المطاف بأن يخاف الفرد من أخيه، ويتوقف الناس عن التفكير متلفّتين يمنةً ويسرة خوفاً من الحيطان التي لها آذان، ويصبحوا نسخة واحدة تفعل نفس الأشياء خوفاً من القبض عليهم أو معاقبتهم.

\*\*\*



# الفهرس

٥	المقدمة
٦	الفصل الأول : التفاهة
٣٩	الفصل الثاني : الجهل
٤٠	*الباب الأول : ماهو الجهل
٤٣	*الباب الثاني : الجهل مابين الأسباب والحلول
٥٥	*الباب الثالث : الجهل الصناعي
٦٢	*الباب الرابع : هندسة العقول
	أهم الاستراتيجيات المستخدمة في
٧٠	هندسة العقول والتحكم بالشعوب

